الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العاليّ و البحث العلميّ
جامعة أحمد بن بلّة _ وهران _
كليّة الآداب والفنون
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
تخصّص: الأدب والتّحليل النّفسيّ

أثـــــر الأدب في فـــــرويد

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماجيستير تخصُّص : الأدب والتّحليل النّفسيّ

إعداد الطالبة:
سميحة تونسي

إشـــــــراف:
أ . د/عبد الله بن حلي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرّتبة العلميّة	الجامعة	الصّفة
ناصر اسطمبول	الأستاذ الدّكتور	وهران	رئيسا
عبد الله بن حلي	الأستاذ الدّكتور	وهران	مشرفا و مقرّرا
الّطاهر بلحيا	الأستاذ الدّكتور	وهران	عضوا مناقشا

1436–1437 هـ

2015–2016م

الإهداء

إلى جدّتي الّتي حال المرض دون حضورها.

ما شربت كأسا علقمية إلا وجدت ثمالتها عسلاً

وما صعدت عقبة حرجة إلا بلغت سهلاً أخضراً.

جبران خليل جبران

إنّ التّحليل النّفسيّ يعدّ الاتّجاه الوحيد الّذي لا يزال يسيطر على ميادين العلوم الإنسانيّة منذ أكثر من قرن إضافة إلى أنّه الاتّجاه الّذي أعطى الفنّ والأدب الكثير وتمثّل ذلك في كونه وسّع الآفاق وغذّى الإبداع وعمّق الرّؤى النّفسيّة.

ورغم الطّابع الأكاديميّ لهذا العلم إلاّ أنّنا نجد تردد مصطلحاته حتّى بين الطّبقات الشّعبيّة في الحياة اليوميّة ؛ فنجد ألسنتهم تردّد بعض الكلمات أمثال عقدة ، كبت ، لاشعور وغيرها من المصطلحات المشاعة بين النّاس .

كثيرا ما تناولت البحوث العلميّة أثر فرويد في الأدب ، ولكن قليلا منها عالج العكس أي أثر الأدب في فرويد .

لذلك سعى هذا البحث إلى تسليط الضّوء على هذا التّأثير الأدبيّ في التّحليل النّفسيّ ، وفي حياة سيجموند فرويد، وفي نظريّته النّفسيّة .

إلاّ أنّ هذا البحث لا يلمّ بالموضوع من جميع جوانبه ، ذلك لأنّ الطّريق لم يكن ميسورا أبدا ، بل اعترضت الباحثة مصاعب شتّى .

أبرز هذه الصّعوبات أنّ هذا الموضوع صعب حتّى على المختصّين أنفسهم ، فكيف بالهاوين والباحثين المبتدئين ! ؟

أمّـا الصّـعوبة الثّانيّـة هـي أنّ مجـرّد الاقتـراب مـن فرويـد هـو فـي حـدّ ذاتـه خطـوة جريئـة فـي طريـق شـاقّ ، فكـان علـيّ أن أتسلّح بتلـك الجـرأة العلميّـة الّتـي يقتحم بها ما يعدّ خطّا أحمر محظورا .

و أمّـا الصّـعوبة الثّالثـة هـي أنّ المراجـع الّتـي تناولـت هذا الموضـوع قليلـة إن لـم نقـل نـادرة ؛ فجـلّ المؤلّفـات عالجـت أثـر فرويـد فـي الأدب ، فـي حـين نـدرت الدّراسات الّتي تناولت العكس ، وهذا ماشكّل صعوبة أخرى .

وتكمن الصّعوبة الرّابعة في كون المراجع الّتي عالجت هذا الموضوع تحديدا مراجع أجنبيّة لم تترجم .

وهذه الصّعوبة تحيلنا إلى صعوبة خامسة ، وهي اختلاف الترجمات ، فقد نجد كتبا تتناول الموضوع نفسه ، لكن بعناوين مختلفة وفهارس مختلفة ، غير أنّ المتن هو نفسه بينهم جميعا ، وهذا ما يجعلني أغوص في المؤلّفات كلّها.

وقد اتّبعت المنهج التّحليليّ القائم على فهم الأعمال الأدبيّة الّتي أثّرت في فرويد ، ودراسة ما كتبه النّقاد عنها ، ثمّ مقارنة محتوى هذه الأعمال بما توصّل إليه فرويد من أفكار ونظريّات انطلاقا منها .

وهنا نجد العلاقة بين كيانين مختلفين وهما :الفنّ والعلم ، وجهد فرويد في تحويل المحتوى الفنّيّ إلى علم .

فإلى أيّ مدى تأثّر فرويد بهذه الأعمال الأدبيّة ؟ ، وهل نجح في تحويل هذا الفنّ إلى علم ؟ ، وهل استوعب فهمه لهذه الأعمال استيعابا شاملا ، أم أنّه لم يأخذ منها إلاّ جوانب تخدمه ؟

وهذا ما اقتضى تقسيم البحث إلى مدخل و خمسة فصول :

المدخل كان بعنوان " التّحليل النّفسيّ " عرضت فيه تقسيمات فرويد للجهاز النّفسيّ ، و طريقته الإكلينيكيّة في معالجته للأمراض ، وتحليله للطّبيعة الإنسانيّة القائمة على الصّراع بين غرائز النّفس المكبوتة وبين قيم المجتمع المحافظة .

الفصل الأوّل تناول عقدة أوديب كأهمّ اكتشاف توصّل إليه رائد التّحليل النّفسيّ عبر الأسطورة اليونانيّة الشّهيرة "أوديب لسوفوكل " ، فاستخدمها فرويد كونها نكوصا و اضطرابا نفسيّا عند الطّفل في نموّه الجنسيّ النّفسيّ ، حيث تكون أحاسيسه في حالة سباق مع والده تجاه والدته أو العكس .

الفصل الثّانيّ تتبّعت فيه ثقافة فرويد الأدبيّة ، إذا إنّنا برصدنا لتكوين فرويد منذ طفولته يتبدّى لنا ذلك التّأثّر الكبير بالكلاسيكيّات الخالدة ، وبميله الجامح نحو الأدب و العلوم الإنسانيّة ، ومدى تأثّره الكبير بالكتّاب و الرّوائيّين

فضلا عن إتقانه لغات عديدة أتاحت له فرص الاطّلاع الواسع على ثقافات أدبيّة أخرى.

الفصل الثّالث تعرّضت فيه إلى أثر الأدب في فرويد ، وذلك من خلال التفات فرويد إلى الأدب ليثبت من خلاله صحّة نظريّاته الّتي توصّل إليها ويستند إليه في تقديم الشّروح و الشّواهد ، إضافة إلى أنّ جلّ مصطلحاته النّفسيّة كان أصلها من الأساطير و الأدبيّات الخالدة .

الفصل الرّابع تخصّص في فرويد وهاملت وشكسبير ، إذ إنّ فرويد منذ طفولته كان شغوفا بمسرحيّة هاملت لشكسبير ويحفظ مقطوعات منها ، كما تعتبر هذه المسرحية مرجعا أساسيّا للتّحليل النّفسيّ ، فقد بحث فرويد عن سرّ تردّد هاملت في قتل عمّه ليتوصّل إلى افتراضات ، كون هاملت كان يودّ أن يستأثر بأمّه من جهة ، ومن جهة أخرى كشف دافع اللاّوعيّ في شخصيّة البطل المسرحيّ ؛ إذ إنّ هذا اللاّوعي ماهو إلاّ تجسيد للاوعي شكسبير نفسه . كما كان للكاتب ابن اسمه أيضا هامنت ، وهذا ما جعل هذه المسرحيّة تبدو معقّدة في نظر التّحليل النّفسي وتحتاج إلى تأويل .

الفصل الخامس كان آخر الفصول ، تحدّثت فيه حول " أثر فرويد في الأدب " وذلك من خلال تعامل فرويد مع الظّاهرة الأدبيّة تحليلا ونقدا ، وكذا بحثه في الدّلالات الباطنيّة و العقد النّفسيّة في العمل الأدبيّ و الفنّيّ وتطبيقاته

على كلّ من دوستويفسكي في الإخوة كارامازوف ، وجراديفا لجونسن ، ويوناردو دافنشي من خلال لوحاته .

ثم انتهيت بعد ذلك بخاتمة عامة ، أجملت فيها أهمّ النّتائج الّتي تمّ التّوصّل إليها في هذا البحث.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أشكر الأستاذ المشرف عبد الله بن حلي على سهره وحرصه على توجيهنا فأثمرت مجهوداته هذا البحث ، كما أقدّم الشكر الكبير إلى أعضاء اللّجنة المناقشة ، إلى الأستاذين ناصر اسطمبول، والطاهر بلحيا لتجشّمهما عناء قراءة هذا الموضوع والّتي ستمكنني توجيهاتهما بلاشك من تطوير وتحسين هذا البحث والبحوث المقبلة إن شاء الله.

لقد سعى فرويد إلى دراسة مكوّنات الشّخصيّة واستكشاف وفهم عمليّاتها النّفسيّة . ويعدّ كتاب " دراسات في الهستيريا " الّذي اشترك في تأليفه مع أستاذه جوريف بروير Josef Breuer* الأرض الّتي حوت البذور الأولى لنظريّة التّحليل النّفسيّ ، لكنّها كانت مجرّد أفكارا غامضة غير واضحة المعالم بعد . إذ تحدّث المؤلّفان عن أثر الرّغبات المكبوتة في إحداث الأعراض الهستيريّة و الّتي تعالج من خلال أسلوب التّنويم المغناطيسيّ الّذي يقوم على تنفيس المريض لكلّ ما يكنّه ويكبته ، فيحدث بذلك التّفريغ .**

إلى أن حدث الصّدام بينه وبين أستاذه حينما فسّر فرويد الأعراض الهستيريّة بصراع الرّغبات داخل عالم خفيّ مجهول ألا وهو اللاّشعور ، كما أنّه أرجع نشأة هذه الأعراض إلى غرائز جنسيّة ، وهذا ما عارضه بروير ،فحدثت

*جوزيف بروير (1842 . 1925) طبيب فيزيولوجيّ وعالم نفس نمساويّ ،تعاون معه فرويد في علاج الهستيريا ،نشرا معا "دراسات في الهستيريا " عام 1895 .

**التّفريغ Cathartique: كلمة يونانيّة تعني التّطهير والتّفريغ ، إنّها طريقة في العلاج النّفسيّ ، يأخذ فيها الأثر العلاجيّ المنشود شكل تطهير وتفريغ ملائم للانفعالات المرضيّة ، ويتيح العلاج للشّخص أن يستعيد ويعاود عيش الأحداث الصدميّة الّتي ترتبط بها هذه الانفعالات ممّا يؤدّي إلى تصريفها \ ينظر :معجم مصطلحات التّحليل النّفسيّ ،جان لابلانش ،جان برتراند بونتاليس ،ت : مصطفى حجازي، ط 1 ،بيروت ،2011 .ص 327

القطيعة بينهما ، و قد صرّح فرويد قائلا « إنّ التّحليل النّفسيّ بمعناه الصّحيح لم يبدأ إلاّ حين انصرفنا عن التّنويم المغناطيسيّ » [1].

إلاّ أن أفكاره قد قوبلت بكثير من الانتقاد والسّخريّة خاصّة من طرف أطبّاء ومفكّريّ عصره ، وكثيرا ما نادى فرويد إلى ضرورة التّمييز الدّقيق بين مفهوم الجنس و مفهوم التّناسل ، فالمفهوم الأوّل –عنده– هو الأعمّ و المقصود . إذ إنّه « لايكون مقصورا على الأعضاء التّناسليّة إلاّ في أندر الحالات ، وإنّما يمتدّ إلى جسم الموضوع الجنسيّ كلّه ويميل إلى استيعاب كلّ الأحاسيس المستمدّة منه » [2].

هذه النّظرة الواسعة في مفهوم الجنسيّة اغتنمها معارضوا التّحليل النّفسيّ واتّهموه اتّهاما باطلا كونه يفسّر كلّ شيء بالجنسيّة ، حتّى الفلسفة فما انتظر من جانبها فرويد شيئا سوى « نظرة متعاليّة ترى في موضوعاتنا امتهانا للبحث الفكريّ [3]».

1 – فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ت : د .أحمد عزت راجح ، م : محمد فتحي ،القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 3 ، ص 323 .

2 – فرويد ، ثلاث مقالات في نظرية الجنس ت : سامي محمد على .م : مصطفى زيور ، القاهرة ، دار المعارف ، ط2 ص 43 .

3 – فريد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ،ص 94.

بعد أن عدل فرويد عن استخدام التّنويم المغناطيسيّ ، اتّجه إلى أسلوب الإيحاء ، وراح يلزم مرضاه ويصرّ عليهم على تذكّر تجاربهم الشّخصيّة وهم في حالة يقظة ، لكنّه لمس عيوبا في هذه الطّريقة وتبيّن له بعد مدّة أنّها تسبّب إجهادا ومشقّة للطّبيب والمريض معا [1] . حينها ابتكر فرويد طريقة أخرى ألا وهي ماتعرف ب" التّداعيّ الحرّ " Assotiation libre .

ويقوم هذا الأسلوب العلاجيّ بأن يطلق المريض العنان لكلّ ما يجول بخاطره وفكره ، وأن يقرأ شعوره للمحلّل النّفسيّ . كما هو . قراءة موضوعيّة ، دون انتقاء أو حذف ، بما في ذلك ذكريات الطّفولة أو ما أطلق عليها اسم « ذكريات السّتائر ، الّتي يستطيع التّحليل العميق أن يستخلص منها كلّ ماطواه النسيان[2]» حينها يقوم المحلّل النّفسيّ بتتبّع هذه التّداعيات باحثا عن العلاقة الخفيّة الّتي تجمعها ، إلى أن يجد الخيط الموصل إلى الخبرات الّتي سبّبت العصاب[3] .

لمس فرويد في هذا الأسلوب مقاومة La Résistance يبديها المريض فتعترض إجراءات العلاج ، وهي مقاومة يختلف مقدارها حسب المستدعيات الّتي يزوّدنا بها المريض ، إذ قد ترد خواطر بشكل رخيّ ومن دون تردّد ، وقد يتعسّر الوصول

1 – فرويد ، حياتي و التّحليل النّفسيّ .ت مصطفى زيور ، عبد المنعم المليجي ، القاهرة ، دار المعارف، ط3 ،ص 63.

2 – فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ، ص 219 .

3 – فرويد ، حياتي و التّحليل النّفسيّ ، ص 63.

إلـى الهـدف إلاّ بالاسـتماع إلـى جميـع أفكـاره ، وكلّمـا كانـت المسـتدعيات كثيـرة وملتويّة ، كلّما كانت المقاومة شديدة وقويّة[1] .

توصّل فرويد إلى أنّ الذّكريات و الخواطر الّتي يريد المريض قمعها بلا شكّ أهمّ الأفكار و أحسمها في الكشف عن اللاّشعور ،ويضرب لنا فرويد مثالا عن المقاومة ليقرّب لنا الصّورة أكثر فيقول « إنّ الطّفل متى أصرّ ألاّ يفتح قبضة يده ليظهر ما فيها ، فأكبر الظّن أنّها تخفي شيئا لا ينبغي أن يكون في حوزته[2] » .

ومن ثمّ يحاول الطّبيب أن يجعل مريضه يفطن إلى الخفيّ المخبوء في لاشعوره ، فتكون المقاومة إمّا موضوعيّة وذلك بشرود المريض عن النقطة الّتي يتطلّب مناقشتها ، وإمّا ذاتيّة ، فيشعر المريض بأحاسيس مؤلمة حين يقترب من النّقطة الحاسمة [3].

1 – المصدر نفسه ،ص 317.

2 – فريد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ،ص 116. \ وقدّم مثالا آخر ينظر ص 318.

3 – فرويد ، محاضرات تمهيديّة جديدة في التّحليل النّفسيّ ، ص 62.

كوّن فرويد من خلال المقامة الّتي كانت تعترض سبيل الإيحاء وتحول دون ظهور الذّكريات إلى ما أسماه بالكبت وعدّه « حجر الأساس في فهم التّحليل النّفسيّ للعصاب [1] » .

لقد عدّ فرويد الكبت ضربا من النّسيان ، وهذا لايعني أن تمحي الذّكرى وتطفأ ، بل تظلّ مكبوتة دون أن تتكشّف مع احتفاظها بوقع الفعل و الأثر .إلى أن تتواجد بعض الظّروف الطّفيفة « حتّى تتحرّك هذه الحياة النّفسيّة وتنشط من خلال السّلطة الكابتة وبأمرها [2] ».

ومن ثمّ فإنّ هذه الحياة النّفسيّة وما تحويه من اندفاعات ورغبات مستقاة من الطّفولة المنسيّة الّتي لا تهدأ و لا تكفّ ، ستولّد في تحقيقها حالة وجدانيّة ليست من اللّذة « بل من الألم وهذا التّغيير للحالة الوجدانيّة على التّحديد هو ماهية ما نسمّيه كبتا ».[3]

---

1 – فرويد ، حياتي و التّحليل النّفسيّ ، ص 50.

2 – فرويد ، الهذيان و الأحلام في الفن ، ت : جورج طرابلشي ،دار الطليعة للطبع والنشر، بيروت، ط2 1981 ،ص 38. 39.

3 – فرويد ، تفسير الأحلام ،ت: مصطفى صفوان، م:مصطفى زيور،دار المعارف ، ط1969،2 ص 588.

ذهب فرويد من خلال نظريّة الكبت إلى افتراض وجود ثلاثة أقسام للجهاز النّفسيّ ألا وهي :

الشّعور conscient وما قبل الشّعور préconscient ، و اللاّشعور l'inconscient . إذ إنّ هذا المصطلح الأخير يطلق على « تلك السّيرورات النّفسيّة الّتي تبقى ناشطة فعّالة من دون أن ترقى مع ذلك إلى مستوى الوعي لدى الإنسان [1] ».

ولكي لا يكون هناك لبس بين مفهومي الكبت واللاّشعور وضّح لنا فرويد هذا الفرق ؛ إذ جعل اللاّشعور هو المفهوم الأشمل و الأعمّ ، أمّا المكبوت فهو الأخص ، فكلّ مكبوت لاشعوري ، لكن ليس كلّ لاشعوري مكبوت فاللاّشعور «مصطلح وصفيّ محض وغير محدّد من أكثر من زاوية ، مصطلح سكوني إن جاز التّعبير ، أمّا المكبوت فمصطلح ديناميكي يشفّ عن صراع القوى النّفسيّة ويعبّر عن ميل المفاعيل النّفسيّة إلى التّظاهر ، بما فيها مفاعيل الصّيرورة الواعيّة ...[2]» .

يحوي اللاّشعور غرائز جنسيّة وعدوانيّة كبتت في مجتمعنا تحت تأثير المعايير الأخلاقيّة و الاجتماعيّة و الدّينيّة الّتي يتربّى عليها الفرد ، وتسعى تلك الدّوافع إلى الإشباع «فليس في وسع اللاّشعور أن ينطق بغير هذه ال "نعم " ولا

1 – فرويد ، الهذيان و الأحلام في الفن، ص 53 . وينظر فرويد ،تفسير الأحلام ، ص 594.

2 – المصدر نفسه ، ص 54 .

وجود على الإطلاق ل "لا " اللاّشعوريّة[1] » . وبهذا اعتبر فرويد هذه الكيفيّة أنّها « الفرض الأساسيّ الّذي يقوم عليه التّحليل النّفسيّ[2]»، وذلك لما لها من دور كبير وفعّال في الحياة النّفسيّة .

إنّ اللاّشعور الّذي أضحى مجالا نفسيّا يحمل رغبات خاصّة ودوافع وحيل نفسيّة ناشطة يتمّ كبتها على يد الرّقابة إذ تعدّ خير حارس لصحّتنا العقليّة « لأنّ هذا الحارس النّقاد وإن هدأ أحيانا – ولدينا من الدّلائل ما يدلّ على أنّ غفواته ليست بالعميقة – فإنّه لاينسى كذلك أن يغلق الباب في القدرة على الحركة فمهما كانت الاندفاعات الّتي تصخب على المسرح من اللاّشعور المكبوت عادة فما نحن بحاجة إلى أن نشغل أنفسنا بها ؛ فهي تظلّ بغير قدرة على الضّرر لعجزها عن أن تحرّك الجهاز الحركيّ الّذي لاتستطيع إلاّ به أن تعدّل من العالم الخارجيّ [3]».

وبهذا تفرض يد الرّقيب على تلك الرّغبات اللاّشعوريّة الشّريرة الآثمة أو الجنسيّة الجامحة ، إذ إنّ «القمع في الجنس من أصعب ما يمكن أن يفرضه

1 – فرويد، التّحليل النّفسيّ للهستيريا" حالة دورا " ، ت:جورج طرابلشي،دار الطليعة للطباعة زالنشر، بيروت،ط1981،1، ص 67 .

2– فرويد ،الأنا و الهو ،ت محمد عثمان تجاني بيروت ،دار الشروق ط 4 .ص 25 .

3 – فرويد ، تفسير الأحلام ، ص 556 .

المجتمع على النّاس [1]»، فتحدث المقاومة والّتي ماهي في الأصل «إلاّ الرّقابة محسوسة مجسّمة [2] »، كما يحدث الحذف و التّشويه وإعادة تنظيم العناصر ، أو وجود عنصر « شاحب ملتبس غير محدّد ، وسط عناصر تفوقه وضوحا وتحديدا فهذا شاهد على أثر الرّقابة[3] ».

ويضرب لنا فرويد مثالا عن الرّقابة بالصّحف ، إذ يذكر الكاتب أنّ هناك أفكارا وعبارات معيّنة ، يرجّح أن يعترض عليها الرّقيب ، فيبادر إلى التلطّف والتّحوير والتّخفيف من حدّتها ،ويكتفي بالإشارة و التّلميح إلى ما يودّ قصده فعلا لكنّ المتلقّي يعي أنّ المحرّر كان يتمثّل في ذهنه الرّقابة من خلال لفّة وروغانة في أساليبه التّعبيريّة [4] .

يحاول المحلّل أن يستدرج هذه الرّغبات المكبوتة ويخرجها من اللاّشعور إلى ما قبل الشّعور ثمّ إلى الشّعور « مثلها في ذلك مثل الصّورة الشّمسيّة تكون في أوّل الأمر سالبة ولا تصبح الصّورة نهائيّة إلاّ بعد الطّبع [5]».

1 – فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 146 .

2 – المصدر نفسه ،ص 144 /وينظر :فرويد ،محاضرات تمهيدية جديدة ،ص 15 .

3 – المصدر نفسه ،الصفحة نفسها /.وينظر مثال آخر، ص 326 .

4 – المصدر نفسه ،ص 326 .

5– فرويد ، تفسير الأحلام ،ص 533 . وينظر المرجع نفسه ، ص 545 وص 579 .

ومن ثمّ ، فإنّ اللاّشعور لا يمكنه أن ينفذ إلى الشّعور إلاّ إذا اجتاز طريق ما قبل الشّعور ، وهذا يعني أنّ العمليّات التّهييجيّة لم تصل إلى الشّعور إلاّ بعد أن عدّلت أو توافرت فيها شروط أخرى معيّنة كأن تبلغ درجة معيّنة من الشدّة ، أو أن تكون موزّعة على نحو خاصّ .

وبهذا ، يعدّ النّظام قبل الشّعوري هو القسم الّذي يتوسّط القسمين اللاّشعور و الشّعور ، إذ شبّهه فرويد بالستّار الّذي يسدل بين النّظامين [1] .

ويكمن دور هذا النّظام في توجيه الاندفاعات الرّاغبة إلى أنسب المنافذ « وتصبح لهذه الرّغبات اللاّشعوريّة قوة قاهرة على مستأنف النّزعات النّفسيّة جمعاء ، قوّة تضطرّ هذه النّزعات إلى مهادنتها ، وقد تعمل على التّعريج بها وتوجيهها نحو أهداف أسمى[2] ».

ورغم هذه الإيضاحات الّتي قدّمها فرويد ، وتقديمه الأمثلة و الشّرح عن النّظامين قبل الشّعوريّ و اللاّشعوريّ ، إلاّ أنّه تناقض وأهمل الفرق بينهما وهذا ما تحدّث عنه ليبين فاليري Libin Valirie إذ بيّن أنّ فرويد في مدخله النّظريّ تحدّث على أنّ العمليّة النّفسيّة تتمّ من قبل الشّعور إلى الشّعور ، أمّا في تطبيقه

1- المصدر السابق ، ص 597 .

2- المصدر نفسه ،ص 588 .

العمليّ فجعلها من اللاّشعور إلى الشّعور ، وبهذا نكون أمام« تناقض واضح في مذهب فرويد في التّحليل النّفسيّ ، الّذي حاول وضعه بشكل غير منطقيّ ... ولعدم استطاعته السّير بصورة منسجمة بمدخله التّمييزيّ في تحليل الجانب النّفسيّ اللاّشعوريّ . كان فرويد مضطرّا للاعتراف بأنّ المحلّل النّفسيّ يبقى مثله في ذلك مثل غالبية الفلاسفة (عاجزا عن أن يقول ماهو اللاّشعور) [1]».

أمّا عن الشّعور ، فلا يعدّ أساس الحياة النّفسيّة ،بل هو خاصيّة واحدة من خصائصها. إنّه حالة مؤقّتة لا دائمة ؛ فقد تظهر الفكرة في النّظام الشّعوريّ لمدّة قصيرة ثمّ تختفي وتبتعد عنه لحين ما ، وترحل إلى ماقبل الشّعور ، كما أنّها قد تستطيع « أن تصبح شعوريّة مرّة ثانيّة تحت شروط معيّنة من السّهل توفّرها[2] ».

آمن فرويد بمشروع الكيفيّات النّفسيّة ، ورأى أنّها صحيحة من النّاحية العلميّة . ثمّ اتّضح له بعد أن تقدّم البحث في التّحليل النّفسيّ أنّ نظريّاته السّابقة في الجهاز النّفسيّ لم تكن دقيقة ، كما أنّها لم تكن مناسبة ولاكافية من النّاحيّة

1 – ليبين فاليري ، مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة ،بيروت ، دار الفرابي، 1981 ، ص 37 .

2– المرجع نفسه ،ص 26

العلميّة [1] . أي أنّها في حاجة إلى تعديل ، لينتهي به المطاف إلى تقسيم العمليّات النّفسيّة إلى أجزاء ثلاثة هي : الهو Le ça والأنا : Moi Le والأنا الأعلى : le Surmoi .

أطلق فرويد على أقدم قسم في الجهاز النّفسيّ اسم " الهو " و الّذي يحتوي على كلّ موروث وموجود منذ الولادة ، وماهو غريزي في الطّبيعة الإنسانيّة [2] ، لذا « فهو يتألّف أوّلا وقبل كلّ شيء من الميولات الغريزيّة الّتي تصدر عن التّنظيم الجسميّ وتجد هاهنا أوّل تعبير نفسيّ عن ذاتها في صور نجهلها[3] ».

وبهذا يعدّ الهو ذلك المكان الغائر في النّفس ، الزّاخر بالرّغبات والغرائز المكبوتة ، والّذي يسيطر عليه مبدأ اللّذة الّذي لايعترف بالواقع ولا بالمنطق ولا يتأثّر بالزّمن ،ولا يأبه بالحاضر ولا بالمستقبل [4] .

ثم ينشأ تنظيم خاصّ يتوسّط الهو و العالم الخارجيّ ، هذا القسم من حياتنا النّفسيّة أطلق عليه فرويد " الأنا". ومن خصائصه الرّئيسة أنّه يقوم بمهمّة حفظ

---

1 – المرجع نفسه ،ص 31 .

2– فرويد ، معالم التّحليل النّفسيّ، ت : محمد عثماني نجاتي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون،الجزائر ،1986 ص 46 .

3– فرويد ، الموجز في التّحليل النّفسيّ، ص 26

4– المصدر نفسه ،ص 15 .

الـذّات وذلـك بمعالجتـه للمثيـرات الخارجيّـة ، فيتفـادى المثيـرات الشّـديدة ويرضـى بالمعتدلة ، ويكيّف العالم الخارجيّ بما يعود عليه بالنّفع[1].

ومن ثمّ ، فإنّ الأنا ينقل تأثير العالم الخارجيّ إلى منطقة الهو ، ويحاول أن يحلّ مبدأ الواقع محلّ مبدأ اللّذة الكامن في الهو ،وبهذا فإنّ الأنا يمثّل « مانسمّيه الحكمة وسلامة العقل [2]». إذ إنّ لـه السّيادة بأن يقرّر ما إذا كان يسمح للرّغبات الغريزيّة بالاشباع ،أو إرجائها إلى ظروف مناسبة تتلاءم مع الواقع الخارجيّ ، أو بالقمع تماما .

وربّما تتّضح وظيفة "الأنا " أكثر من خلال المثال الّذي أورده فرويد ، إذ بيّن أنّ الأنا في علاقته بالهو و إشرافه على منافذه الحركة « مثل رجل على ظهر جواد يحاول أن يتغلّب على قوّة الجواد العظيمة ... إنّ راكب الجواد غالبا ما يضطرّ ، إذا كان حريصا على ألاّ يفقد جواده ، أن يقوده إلى حيث يريد الجواد أن يذهب . وكذلك يقوم الأنا بنفس الطّريقة بتنفيذ رغبات الهو دائما كأنّها رغباته الخاصّة » [3].

1 – فرويد ، الموجز في التّحليل النّفسيّ ،ص 26–27 .

2 – فرويد ،الأناوالهو ،ص 43 .

3 – المصدر نفسه ، ص 43 .

ولكي يتجنّب الأنا دخوله في صراع مع الهو ، فإنّه يلجأ إلى استعمال حيلتي : التّسامي La Sublimation والتّقمّص L'identification .

في التّسامي ، يتقبّل الأنا رغبات الهو ، ثمّ يحوّلها إلى أهداف سامية يرضى عنها المجتمع ، ويرضي بها الطّرفين معا . فهذه العمليّة الّتي تتضمّن سحب الطّاقة الجنسيّة هي عبارة « عن نوع من الإعلاء [1]».إنّه يعدّ عاملا اكتسب أهميّة اجتماعيّة مؤثرة في نموّ الحضارة ، إذ تنصرف الدّوافع الجنسيّة عن التماس لذّتها الخاصّة التّناسليّة ، وتستبدلها بطابع اجتماعيّ [2].

وبهذا يعدّ التّساميّ عمليّة نفسيّة تصرف الطّاقة اللّيبيديّة *إلى أهداف اجتماعية مشروعة ، تعود على صاحبها بالملذّات « كتلك الّتي يتلقّاها الفنّان في الخلق والإبداع ، أو تلك التى تخامره حين يجسّد صورا خياليّة ويجسّمها أو تلك الّتي يجدها المرء عند كلّ معضلة أو اكتشاف الحقيقة [3]».

1- المصدر نفسه ،ص 15 .

2 - فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسي ، ص 382 .

* الليبيدو libido : يعني المصطلح في اللاّتينية شهوة أو رغبة ، وقد افترض فرويد هذه الطاقة بمثابة أساس لتحولات النزوة الجنسية من حيث الموضوع (إزاحة التوظيفات) ، ومن حيث الهدف (كالتسامي مثلا) ، ومن حيث المصدر الإثارة الجنسيّة (تنوّع المناطق المولدة للغلمة) ، ثم اتّسعت فكرة الليبيدو لدى يونغ كي تدل على " الطاقة النفسية" عموما / ينظر معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص 699

3 - فرويد، قلق في الحضارة ،ت : جورج طرابلشي ، بيروت ، دار الطليعة ،ط 2 ،ص 27 . وينظر فرويد ،ثلاث مقالات في نظرية الجنس ، ص 111

ولكن تظلّ عمليّة التّساميّ عاجزة عن تحقيق مبدأ اللّذة والطّموح ؛ لأنّها لا تتصرّف إلاّ في جزء معيّن من الطّاقة الجنسية ، ولأنّها « تستوجب استعدادات أو مواهب غير متاحة لسواد النّاس ، بمقادير فعّالة على الأقل . أضف إلى ذلك أنّها لا توفّر حتّى لأولئك المصطفين النّادرين حماية تامّة من الألم ، ولا تلبسهم درعا لا تنفذ منه ضربات القدر[1] ».

وقد أشار فرويد كثيرا في كتابه "قلق في الحضارة " إلى أهميّة التّساميّ ، إذ يشكّل تصعيد الدّوافع الغريزيّة من أبرز سمات التّقدم الثّقافيّ « فهوالّذي يسمح للنّشاطات النّفسيّة الرّفيعة ، العلميّة أو الإيديولوجيّة بأن تلعب دورا بالغ الأهمية في حياة الكائنات المتحضّرة [2]».

وبهذا لا يعتبر فرويد ناطقا باسم الجنس ، ولامناديا للحريّة الجنسيّة بل إنّه مثال نموذجيّ يتمثّل في كبح المشاعر و السّيطرة عليها بواسطة العقل كما أنّ مواقفه الشّخصيّة تجاه الجنس تعكس القيم الأخلاقيّة الدّافعة إلى التّحضّر [3].

1- المصدر نفسه ،ص 22 ، وينظر كذلك ص 39 .

2 - المصدر السابق ، ص 52 .

3- إيريك فروم ،مهمة فرويد (تحليل لشخصية وتأثيره) ،ت : طلال عريسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط2 ،ص 112. وينظر ص 36 .

أما عن التّقمّص ،فهو من الحيل الّتي يستخمها الأنا أمام الهو ؛ إذ يجمع الأنا كلّ الموضوعات الّتي يحبّها الهو في مكان ما منه ، ثمّ يحوّل شحنات " الهو " نحو هذه الموضوعات مدّعيّا أنّها هذه هي تلك وهي حيلة غالبا ماتنطلي على الهو [1] . بل « ربما يكون هذا التّقمص هو الشّرط الوحيد لتخلّي الهو عن موضوعات حبّه[2] ».

ويمكن للأنا أن يخفق في تحقيق مهامه الّتي ألزم بها ، فيحدث تبعا لذلك بعض الأمراض المرتّبة مثل العصاب Névroses و الذّهان la psychose .

إنّ الأنا قد يضعف أمام رغبات الهو العنيدة مهما حاول كبتها ، فيلجأ إلى حلّ ودّيّ la formation de compromis، وذلك بسعيه إلى التّوفيق بين مطالب الدّوافع المكبوتة وشروط العوامل الكابتة ،فيظهر ذلك في أعراض. وهذه الأعراض في حقيقتها « لا تعدو أن تكون إشباعا إبداليّا لحافز جنسيّ ما [3]».

1- بن حلي عبد الله . الفكر الفرويديّ وأثره في النّقد العربيّ ، إ :أبو العيد دودود، جامعة وهران، 198 .1989،ص08 .

2- فرويد ،الأنا و الهو، ص 49 .

3- فرويد، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ،ص 312 .

أمّا إن تجاوز اللّيبيدو حدود الخيال دون الاكتفاء به ، فإنّه يحاول أن يسعى إلى الفعل الحركيّ ، لكنّ الأنا يقف أمامه ويقاومه ، إلى أن ينتهي الصّراع إلى العصاب [1] . وبهذا ينشأ هذا الأخير« من الميول الجزئيّة المكوّنة للحياة الجنسيّة[2] ».وبهذا، لم يكن العصاب إلاّ أيقونة على أنّ الأنا لم يوفّق في القيام بمهامه كاملة« وأنّه في محاولته القيام بذلك فقد وحدته[3] ».

أما عن الذّهان ، فإنّ الهو والأنا الأعلى يتّحدان ضدّ الأنا ، ويزعزعان تنظيمه ، بحيث تنقطع صلته بالواقع ، وتكون حالته أقلّ خطورة من العصاب ، إذ يصاب بضعف يؤثّر في تعامله مع الواقع .

وقد أوضح لنا فرويد في كتابه " الهذيان و الأحلام " عن طبيعة هذه الاستهامات (أصل الهذيان) فنجده يقول في ذلك أنّها « بدائل ، مشتقّات للذّكريات المكبوتة الّتي تتصدّى لها المقاومة تحول دون مثولها للوعي في قساماتها الحقيقيّة ، فلا تفلح في بلوغ هدفها هذا إلاّ مقابل تغيّرات وتشوّهات تمليها عليها مقاومة الرّقابة . وأن يتّسم الوصول إلى هذه التّسويّة ، حتّى تتحوّل هذه

1 – فرويد ، الموجز في التّحليل النّفسيّ ، ص 51 .

2 – المصدر السابق، ص 59\ وينظر: فرويد، ثلاث مقالات في نظريّة الجنس، ص 54 .

3– المصدر نفسه، ص 59\ وينظر: فرويد، ثلاث مقالات في نظريّة الجنس، ص 54 .

الذّكريات إلى استهامات يسهل على الوعي ألاّ يتعرّفها ، إذ لاسبيل لأن تفهم إلاّ على ضوء التّيار النّفسيّ الغالب [1]» .

ثمّ بيّن لنا فرويد أنّ للهذيان سمتين رئيستين من شأنهما أن تميّزاه عن باقي الاضطرابات ؛ أولاهما أنّه ينتمي إلى الأمراض الّتي لاتترك أثرا مباشرا في الجسم ، ولا تظهر إلاّ بأعراض نفسيّة . وثانيها أنّه يستقلّ بنفسه فيضحى الآمر النّاهيّ ، ويصبح له مصداقية من شأنها تمكينة من التّحكم في سلوك الإنسان [2].

إنّ رواسب فترة الطّفولة الّتي ينشأعليها الطّفل تحت تأثير والديه يصنع منظّمة خاصّة تدعى "بالأنا الأعلى "، حيث تجعل من الطّفل يسيطر على رغبات لا يقرّها أبواه أو قيمه المتوارثة التّي لا يرضى عليها المجتمع .

إنّ الأنا الأعلى مثال ناجح في تقمّص الوظيفة الأبويّة ، إذ يرثها منذ عهد الطّفولة ، فيحلّ بذلك محلّهما « ويأخذ في مراقبة الأنا و إرشاده وتهديده بعين الطّريقة الّتي كان الوالدان يعملان بها الطّفل من قبل على وجه التّحديد[3]» .

---

1 – فرويد ،" دوستويفسكي وجريمة قتل الأب" ، من كتاب رونية ويليك عن "دوستويفسكي" . ت نجيب محفوظ ،بيروت ، المكتبة العصرية ،ص 166

2 – المرجع نفسه ،ص 50 .

3 – فرويد ،محاضرات تمهيديّة جديدة في التّحليل النّفسيّ ، ص 57 .

ولكن ، قد ينحاز الأنا الأعلى في اختياره ، إذ يأخذ من الوالدين كلّ شدة وصرامة وزجر وعقاب ، ويذر عنهما سمتا اللّين و الحبّ . وهذا ما أورده فرويد قائلا : « الأنا الأعلى قد ينشأ على درجة كبيرة من الجفوة و الغلظة حتّى إن كان الوالدان يرعيان الطّفل بالرّفق و التلطّف ويبتعدان عن الوعيد و التّهديد بالعقاب ما وسعهم الأمر [1]» .

إنّ الأنا الأعلى تعزو إليه أنشطة ثلاث وهي : مراقبة النّفس ، وإقامة المثل العليا ، والضّمير الخلقيّ [2]، وبهذا يأخذ شكل الضّمير ، ويتّجه بالعدوان نحو الأنا ، ويحكم قبضته عليه وفق معايير أخلاقيّة صارمة فـــ « يسقيه من نفس الكأس الّتي كان يريد الأنا أن يسقيها للآخرين . ونحن نسمّي التّوتر الّذي يتفجّر بين الأنا الأعلى المتزمّت و بين الأنا الأدنى مرتبة ، نسمّيه الشّعور بالذّنب ويفصح عن نفسه في شكل حاجة إلى العقاب [3]».

وبالتّالي ، فإنّ تزمّت الأنا الأعلى وقوّة ضميره الأخلاقي وصرامته الكبيرة تجاه الأنا هو ما ولّد فيها الشّعور بالذّنب « فما دام الحظّ يبتسم للإنسان تمسك ضمير بأهداف الحلم و التّسامح ، وغفر للأنا الكثير من الأشياء ؛ ولكن ما إن

1- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

2 - المصدر نفسه ،ص 61 .

3- فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ،ص 83 . اوينظر: فرويد :محاضرات تمهيديّة جديدة ،ص 56 .

تحدّق بالإنسان مصيبة حتّى ينكفي على ذاته ، ويقرّ بخطاياه ، ويعيد توكيد متطلّبات ضميره ، ويعرض على نفسه ضروبا من الحرمان ، ويعاقب ذاته بإلزامها بالتّوبة و التّكفير[1] ».

بل قد لا يكتفي الأنا الأعلى بمحاسبة الأنا على تصرّفاته فحسب بل يحاسبه حتّى على نواياه الّتي لم يفعلها ، فبطل أسطورة أوديب أحسّ بذنبه وعاقب نفسه رغم أنّه برئ في نظرنا لما دعت إليها النبوءة . وبذلك فإن قسوة الأنا الأعلى المفرطة «لا تحاكي نموذجا واقعيّا ، ولكنّها تقابل قوّة الدّفاع الموجّهة ضدّ إغراء عقدة أوديب[2] ». وهذه العقدة بدورها ستكون مستهلّ الفصول .

1- فرويد ،القلق في الحضارة ، ص 93 .

2- فرويد ، الموجز في التّحليل النّفسيّ ، ص 116 .

تعتبر عقدة أوديب (complexe d'oedipe) من أهمّ و أخطر الاكتشافات الفرويديّة في التّحليل النّفسيّ وقد جاء فرويد بهذا المصطلح من أسطورة "أوديب " البطل الإغريقيّ الّذي قتل أباه وتزوّج أمّه . فاستعمل هذا الإسم " أوديب " لوصف الاضطرابات النّفسيّة والجنسيّة للأطفال من خلال الجنسين تجاه والديهم.

تحمل عقدة أوديب مشاعر ورغبات لاشعوريّة تنهض على أساس الرّغبة في الأب و الأمّ من الجنس المقابل كما تسعى في الوقت ذاته إلى إزالة الوالد أو الوالدة من الجنس نفسه . وهي عقدة . حسب رأى فرويد . تظهر في مرحلة الأوديبيّة التّي تقع ما بين سن الثّالثة و الخامسة تقريبا .

إنّ لفظة "عقدة " ماهي في الأصل إلاّ ذكريات مقموعة ، فإذا قلنا "عودة العقدة "ماهي في الواقع إلاّ "عودة الميول " أو " الذّكريات المقموعة ؛ كما جرت العادة على القول : " إنّني أشعر إزاءه بعقدة " ، مع أنّ الأصح القول : " أشعر إزاءه بمقاومة[1] " .

1 – فرويد ، مساهمة في حركة التّحليل النّفسيّ ، ت : جورج طرابلشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ص 36 .

ومن ثمّ ، تشكّل هذه العقدة المدخل الأساسيّ لشخصيّة وسمات كلّ منا إذ إنّها تعدّ نواة كلّ الاضطرابات العصابيّة النّفسيّة « فكلّ أنواع التّثبيت Fixation* أو عدم النّمو أو النّضج النّفسيّ ، وكذلك عمليّات النّكوص Regression** والاضطرابات النّفسيّة و الجنسيّة و مشاعر الذّنب كلّها نتيجة لهذه العقدة [1] ».

إنّ الشّخص كلّما فقد موضوعا أحبّه أو اضطرّ إلى هجره ، فإنّه يسعى إلى تعويض هذا الحرمان بالنّكوص إلى تقمّص الإنسان المفقود ويرتدّ إليه من جديد [2] ، وهذا ما يحدث في الخبرات الجنسيّة الّتي يمرّ بها الطّفل . وسوف نقف عليها لما لها من وقع على الجنس البشريّ قاطبة .

لو تأمّلنا في الأنا الأعلى لوجدناه يمثّل جميع القيود الخلقيّة و الصّفات السّامية و النّزعة الدّاعية إلى الكمال ، فهو« بقيّة من فكرة الطّفل القديمة عن أبويه ، و تعبير عن الإعجاب الّذي كان يشعر به إزاء ما كان يعزو إليهما من

* التّثبيت : يدخل ضمن إطار النظريّة الفرويديّة عن اللاّوعي ، بأنّه يدل على أسلوب تسجيل بعض المحتويات ذات القيمة التّمثيليّة (مثل التّجارب ، و الصّور الهوامية و الهوامات) الّتي تستمر في اللاّوعي بشكل لا تحول فيه ، والّتي تظلّ النّزوة مرتبطة بها . / ينظر: معجم مصطلحات التّحليل النّفسيّ ، ص 275 .

**النّكوص : عمليّة نفسيّة تتضمّن معنى المسار أو النمو ، عودة في اتّجاه معاكس من نقطة تمّ الوصول إليها إلى نقطة تقع قبلها / ينظر:المعجم نفسه ، ص 903 .

1- شاكر عبد الحميد ، الأسس النّفسيّة للإبداع الأدبيّ (في القصة القصيرة خاصة) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1992، ص 5 .

2- فرويد ، محاضرات تمهيديّة جديدة في التّحليل النّفسيّ ، ص 58 .

كمال [1] ». ومن ثمّ تحدث رغبته غير الواعية في الاستئثار بحبّ الطّرف المضاد لجنسه من والديه (الولد للأمّ و البنت للأب) .

إنّ موضوع الحبّ عند البنت الصّغيرة في الموقف الأوديبيّ هو أبوها ، أمّا أمّها فتراها تملك من السّلطة ما يحدّ حرّيتها ، وفي أحايين كثيرة تسعى الطّفلة إلى المنافسة مع أمّها أو من يقوم مقامها .

كذلك الحال بالنّسبة للابن فإنّ موضوع حبّه هو الأمّ ، إذ يرى في الأب قيدا يغلّ إرادته ، وحائلا بين رغباته الجنسيّة ، بل وأحيانا يرجو له الموت إن كان صاحب مال أو عرش « أمّا الصّلة بين الأب وابنته ، وبين الأمّ وابنها ، فيبدو أنّها أبعد من أن تعصف بها هذه الألوان من الصّراع ، ويلوح أنّها أنقى مثال للمودّة الثّابتة غير المتقلّبة لا يكدّر صفوها أيّ اعتبار أنانيّ[2] ».

إنّ هذا العداء و التّنافر بين الابن الّذي يرى في أبيه خصما مستحوذا على ملكه " الأمّ " وبين البنت الّتي ترى في أمّها منغّصا في علاقتها الصّافية مع أبيها ، سنقف بالشّرح عند كلا الجنسين ، وسنبدأ بعقدة أوديب عند البنت .

1- ينظر: المصدر نفسه، ص 59\ وينظر كذلك ، ص 61 .

2 - فرويد، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 266 .

عقدة أوديب عند البنت :

أوّل ما يجب ذكره عن البنت أنّها أكثر ذكاء وحيويّة من الولد الّذي هو بالعمر نفسه ، بل وأسبق في نضجها منه . كما أنّها أقدر على التّكيّف بالمحيط الخارجيّ ومسايرته إضافة إلى أنّها تتعلّق بموضوعات حبّها تعلّقا شديدا إذا ما قورنت بالصّبيّ[1] .

إنّ أوّل موضوع حبّ للبنت كان لأمّها ، لكن سرعان ما يزول هذا التّعلّق ليستبدل بالأب ، ولا يقتصر الأمر على تغيير موضوع الحبّ فحسب ، بل يتحوّل تعلّقها الأوّل إلى عداء و كراهيّة شديدة جدّا قد « تبقى أطول العمر ، أو تعوّض فيها تعويضا مسرفا في حرص وكياسة »[2] .

ومن ثمّ ، تسعى البنت إلى إظهار الودّ و الحبّ لأبيها ، وتودّ لو تحلّ مكان أمّها ، فتجتهد في فنون الدّلال و الرّقة ما تبديه النساء « فإذا بها صورة فاتنة رائعة قد تنسينا ما يمكن أن يتمخّض عن موقفها هذا من عواقب خطيرة فيما بعد[3] » .

1- فرويد ، محاضرات تمهيديّة جديدة في التّحليل النّفسيّ ،106 .
2- المصدرنفسه ،ص 109 .
3- فرويد، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 368 .

إنّ هذا الموقف الأوديبيّ للبنت ينشأ من إغواءين ؛ أحدهما إغواء وهميّ يتولّد من تخيّلات وهميّة في إغراء الأب للبنت لا من حوادث واقعيّة ، و ثانيها إغواء حقيقيّ ناتج عن الأم ، إذ إنّها « هي الّتي تستثير الإحساسات اللّذيذة الأولى للأعضاء التّناسليّة للصّغيرة وهي تتعهّد حاجاتها الجسميّة المعتادة[1] ».

تدرك البنت حينما تشبّ أنّ الأمّ أضحت رقيبا على مطامحها الجنسيّة وينشأ حينئذ النّزاع ، فتسعى البنت إلى تحقيق حرّيتها الجنسيّة في حين ترى الأمّ في تفتّح ابنتها نذيرا يتطلّب القمع و النّزول عن هذه المطالب الجنسيّة [2] .

فالمراهق في مرحلة نضجه يحتفظ بتصوّرات معيّنة في خياله عن الحياة الجنسيّة لا تخرج إلى حيّز التّطبيق ، وهنا تتجلّى للإنسان مرّة أخرى ميولاته الطّفليّة وقد زادتها الطّاقة الجنسيّة أكثر حدّة ، و يتصدّر الوالدان المقام الأوّل في هذه الحوافز الجنسيّة لدى الطّفل [3] .

إنّ بتحليل فرويد لهذه العقدة توصّل إلى الكشف عمّا يسمّى ب " عقدة الخصاء " ، إذ إنّ البنت ترى أنّ أمّها هي السّبب في حرمانها من القضيب فهي « لا تغفر لها هذا الحرمان مطلقا [4]» .

1- فرويد ، محاضرات تمهيديّة جديدة في التّحليل النّفسيّ ، ص 109 .

2 - فرويد ، تفسير الأحلام ، ص 273 .

3- فرويد ، ثلاث مقالات في نظريّة الجنس ، ت : سامي محمد علي ، م : مصطفى زيور ، القاهرة ن دار المعارف ،ط2 ،1969 ، ص 100 .

4- فرويد ، محاضرات تمهيدية جديدة في التّحليل النّفسيّ ، ص 113 .

وبهذا ، يمكن أن تترجم رغبة البنت لأبيها أنّها في الأصل رغبة منها في امتلاك القضيب « ذلك القضيب الّذي ضنّت به الأمّ عليها و الّذي تأمل أن تظفر به الآن من أبيها[1] ». و لايستقيم موقفها هذا إلاّ عندما تستبدل رغبتها في القضيب برغبتها في امتلاك الطّفل ، فيضحى الطّفل مكافئا للقضيب « ومتى تحوّلت الرّغبة في الطّفل و القضيب إلى الأب ، دخلت البنت في موقف عقدة أوديب[2] » .

ومن ثم ، تسعى المرأة إلى تعويض نقصها (عقدة الخصاء) من ذلك أنّها تلجأ إلى شيمة الحياء ، وهو صفة لاصقت النّساء ، ويعتقد فرويد أنّه ماهو إلاّ « ذريعة تصطنع أصلا لستر ما بأعضائهنّ التّناسليّة من نقص [3]» .

وقد تلجأ أيضا المرأة إلى النّرجسيّة لتعويض نقصها هذا ، وحظّ النّساء منها أكثر من الرّجال ، وما زهوها و إعجابها بنفسها إلاّ « أثر من آثار حسادة القضيب لديهن . فهنّ مدفوعات إلى الغلوّ في إظهار محاسنهن الجسميّة كما لو كان ذلك تعويضا لاحقا عمّا لديهنّ من نقص جنسيّ أصيل[4] » .

1- المصدر نفسه ،ص 116 .
2- المصدر نفسه ،ص 116 .
3- المصدر نفسه ، ص 117 .
4 - المصدر نفسه ، الصّفحة نفسها .

و ليست عقدة أوديب عند البنت هي نفسها عقدة الخصاء ، ومخافة أن نقع في هذا اللّبس، أورد قولا لفرويد يوضّح فيه بشكل جليّ هذه المفارقة حيث قال : « إنّ عقدة الخصاء تمهّد الطّريق عندها لعقدة أوديب بدل أن تقضي عليها فإذا بالبنت تندفع بتأثير حسادة القضيب مولّية الأدبار لأمّها ، وتفزع إلى الموقف الأوديبيّ كما لو كان ملجأ لها و أمنا[1] » .

يضاف إلى هذا أنّ الخوف من الخصاء متى زال من نفس الصبي زال معه الدّافع الرّئيس الذّي أكرهه على قهر عقدة أوديب ، أمّا البنت فتظلّ في الموقف الأوديبيّ فترة غير محدودة و لاتذره إلاّ في مرحلة متأخّرة من حياتها على نحو مكتمل .

ولكن لا ينبغي أن ننظر إلى عقدة أوديب أنّها سلبية دائما ، ففشل البنت تجاه موقفها الأوديبي و إعراض الأب عنها يحملها إلى النّكوص إلى عقدة الذكورة « على أنّنا يجب ألا نغلو في أهميّة هذا الفشل وخلف الظّن ، فهما كذلك من حظّ البنات اللاّتي ينتهي بهنّ الأمر إلى الأنوثة السويّة ، لكنّهما لا يفضيان بهنّ إلى نفس العواقب [2] ».

1 – المصدر نفسه ، ص 117 .

2– المصدر نفسه ، ص 118 .

بل إنّ عقدة أوديب تمهّد للفتاة باختيار الزّوج المناسب ؛ فإذا ظلّت البنت في القبضة الأوديبيّة أي متعلّقة بوالدها راغبة عن أمّها ، فإنّ هذا قمين لها بزواج سعيد ، إذ يرث الزّوج في بادئ الأمر مكان الأب ، ليحتلّ على مرّ الأيّام مكانة الأمّ (موضوع حبّها الأول) ، فتتقمّص المرأة شخصيّة أمّها وتتّخذها مثالا وأنموذجا لها . وهذا ما يجعل العلاقة الزّوجية أنجح و أبقى ، « بل إنّ الزّواج لاتثبت دعائمه إلاّ حين تفلح المرأة في أن تتّخذ من زوجها طفلا لها ، وأن تقوم بدور الأمّ نحوه [1]» .

إنّ هذا التّقمّص لدور الأمّ له في مستقبل المرأة أبلغ الأثر ؛ إذ إنّه « يكسبها في عين الرّجل تلك الجاذبيّة الّتي تذكي تعلّقه الأوديبيّ بأمّه ، وتحيله حبّا .غير أنّ ما يحدث غالبا هو ألاّ يظفر الزّوج نفسه بما يريد بل يظفر به ابنه فيما بعده[2] »

1- المصدر نفسه ، ص 121 .

2 - المصدر نفسه ، ص 122 .

عقدة أوديب عند الولد

إنّ الطّفل الصّغير يودّ لو يستأثر بأّمه لتكون ملكا له وحده ، لكنّه يلفي الأب حاجزا أمامه ، فيتجهّم ويحسّ بالعداء نحو . وينتابه الشّعور بالرّضى إذا ما غاب والده أو سافر" وكثيرا ما يفصح عن عواطفه نحو أمه باللفظ مباشرة فيعدها أن يتزوج بها " [1].

وهذا ما يذكّرنا بأسطورة أوديب اليونانيّة ، فكره أوديب لوالده ، يشير إلى حبّه لوالدته ورغبته في امتلاكها كزوجة رغم صغر سنة [2]. إذ يسعى الإبن إلى استبعاد و الانفراد بأمّه ، هذا الصّراع المزدوج " هو ما نسمّيه عقدة أوديب : ففي أسطورة أوديب تتحقّق الرّغبتان اللّتان ينطوي عليهما موقف الإبن ، بصورة صارخة ، هي قتل الأب و الزّواج من الأم[3] " .

و إذا ما عدنا إلى العصور الأولى للمجتمع الإنسانيّ فإنّنا نجد مدى سلطة الأب و قساوته ؛ إذ إنّ الأب في العهود البشريّة الأولى ، كان بالفعل يخصّي ابنه المراهق ، وما شعيرة الختان المعروفة ماهي إلاّ أثر لذلك الخصاء [4].

1 – فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 367 .

2– Ernest Jones ,Freud et Hamlet .p 18

3– فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 228 .

4– فرويد ، محاضرات تمهيديّة جديدة في التّحليل النّفسيّ ،ص 79 .

كما تبيّن لنا الملاحم و الأساطير اليونانيّة القديمة وكذا روايات أخرى تتحدّث عن هذا الإخصاء ، إذ إنّ فكرة أكل الوالد لابنه فكرة رائجة معروفة بين الأطفال[1] مثلما نجدها أيضا في أسطورة كرونوس Cronos* .

ونتيجة تهديد الصّبيّ بالخصاء ، يتقوّى ميله إلى الأنوثة فيسعى أن يأخذ دور أمّه كموضوع حبّ لوالده ، إلاّ أنّ خوفه من تهديد رجولته يدفعه إلى كراهية أبيه [2] . وبهذا يحمل الطّفل ثنائية جنسيّة ؛ ميله الأنثوي لأبيه و كراهية له خوفا من الإخصاء .

ومن ثم ، يشعر الطّفل بمشاعر متناقضة تجاه أبيه ، إنّه ازدواج يضمّ النّقيضين ؛ إذ يشعر بالحبّ الشّديد والكراهيّة المسرفة تجاه والده . هذه الازدواجية في الشّعور سمّاها فرويد ب " التناقض الوجداني " Ambivalence of

1- فرويد، الكفّ و العرض و القلق ، ت: محمد عثمان تجاني ، المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط3 ص 73 . وينظر : فرويد، تفسير الأحلام ،ص 273

* أسطورة كرونوس هي أسطورة قديمة تروي لنا أنّ أقدم آلهة اليونان قد جاءته نبوءة بأنّ أحد أبنائه سيقتله ويرثه في حكم الألمبوس ، وبناء على ذلك فقد قرّر كرونوس أن يلتهم كلّ أبنائه عند ولادتهم . ولكن عندما ولدت زوجته "ريا" ولدها "زيوس " قامت بإخفائه عن أبيه و أعطته حجرا بدلا منه فابتلعه وبذلك نجا زيوس وكبر ، ثمّ هاجم أباه وتخلّص منه و استولى على الملك .

2- فرويد، دوستويفسكي وجريمة قتل الأب ،من كتاب رونيه ويليك ،عن " دوستويفسكي" ،ت: نجيب المانع ،المكتبة العصرية ، بيروت ص 171 .

felling ، « فعقدة أوديب تمثل حالة من اللاّستقرار ، وكأنّها قارب طفوليّ يتقلّب هنا وهناك [1] ».

إنّ كره الإبن لأبيه ، يظهر بشكل جليّ عند وفاته ، فكثيرا « ما يتاح للطّبيب أن يلحظ كيف يعجز حزن الإبن لفقد أبيه عن قمع فرحه إذ يظفر أخيرا بحريّته[2] ». حتّى في العهود الأولى ، كان الإنسان البدائيّ لا يتقبل موت الشّخص العزيز ، وتتضارب إزاء ه أحاسيسه ، فهو من جهة يحبه ويعتبره جزءا من نفسه ومن جهة أخرى يكرهه ولا يعتبره جزءا منه « وهذا التّقارب في المشاعر هو الّذي كان يطلق البحث فيه ، و هو نفسه الّذي أولد علم النفس[3] ».

وليست عقدة أوديب عند الطّفل هي نفسها الخصاء ، فعقدة أوديب هي الّتي تجعل الطّفل يرغب في أمّه ، ويسعى إلى التّخلّص من أبيه ، ويتكوّن هذا في المرحلة القضيبيّة ، إلاّ أنّه تحت تأثير تهديد رجولته فإنّه يهجر عقدة أوديب خشية فقد قضيبه، فتكبت العقدة ، وقد تتلاشى تماما [4] .

---

1 –Ernest Jones ,oedipe et Hamlet .p 18

2– فرويد ، تفسير الأحلام ،ص 273 .

3 – فرويد، الحب و الحرب الحضارة و الموت ،ص 33 . وينظر فرويد ، محاضرات تمهيدية جديدة ، ص 108 .

4– فرويد ، محاضرات تمهيديّة جديدة في التّحليل النّفسيّ ، ص 117 .

و إذا ما تقمص الطّفل شخصيّة أبيه ، فإنّ ذلك يقوّي عناصره الذّكوريّة ويطلق عليها عقدة أوديب الإيجابيّة ، أمّا إذا تقمّص شخصيّة أمّه فهي عقدة أوديب السلبيّة ،فالأولى سويّة و الثّانية مرضيّة [1] .

وتحلّ هذه العقدة جزئيّا حسب رأي فرويد من خلال تماهي Identifical الطّفل مع الوالد من الجنس نفسه وتحلّ كلّيا عندما يتمّ اكتشاف الأب من الجنس المقابل من خلال صلة جنسيّة ناضجة مع بالغ من الجنس المقابل [2] .

أثر الوالدين في إذكاء عقدة أوديب وتطورها

إنّ الوالدين نفسيهما كثيرا مايستفزّان هذه العقدة ويذكيانها في نفوس الأبناء « وذلك لما جبل عليه كلّ شقّ منهما من إيثار الآخر من الأطفال ، فترى الأب يؤثر ابنته ويحبوها ،وترى الأمّ تؤثر ابنها وتفضله ، فإن فتر الحبّ الزّوجيّ بين الأبوين ، فقد يتّخذ الطّفل بديلا لمضوع الحبّ الّذي لم تعد له من الفتنة ماكان له من قبل[3] ».

وكلّما كبرت الأسرة ، وتزايد عدد أطفالها ، تضخّمت العقدة الأوديبيّة وتحوّلت إلى عقدة أسريّة ، وذلك أنّ بقدوم المولود الجديد من شأنه أن يستثير

1- فرويد، الأنا و الهو ، ص 53 .

2 – شاكر عبد الحميد ، الأسس النّفسيّة للإبداع الأدبيّ ، ص 50 .

3- فرويد ، محاضرات تمهيدية في التّحليل النّفسيّ ، ص 228 . وينظر :المرجع نفسه ، ص 368 .

بإخوته عواطف الكراهيّة وحبّ التّخلّص منه ، لأنّه جعلهم يحتلّون المراتب الثّانويّة ، بينما هو كانت له الصّدارة[1] .

كما أنّه قد ينتقل موضوع الحبّ من الأبوين إلى أحد الإخوة ؛ فقد يجعل الطّفل من أخته موضوعا لحبّه بدل والدته وقد يتنافس الإخوة من أجل كسب رضاء آخر العنقود، وقد تتّخذ الأخت الصّغرى من أخيها الأكبر بديلا عن والدها أو تعويضا لها عن الطّفل الّذي حلمت أن تظفر به من أبيها[2].

بل قد يبحث الطّفل بعد أن صار رجلا عن مصدر قوّة تكون له أمانه النّفسيّ « فيبتدع لنفسه آلهة يخشى جانبها ويسعى إلى أن يحظى بعطفها ، ويعزو إليها في الوقت نفسه مهمّة حمايتة[3] »"

عقدة أوديب مولّدة للإحساس بالذنب

لقد نشر فرويد مؤلّفا عنونه " الطوطم و التابو "عام 1913 ، افترض فيه أنّ عقدة أوديب بثّت في البشريّة جمعاء ذلك الشّعور بالإثم و الّذي يعدّ بدوره مصدر رئيس للدّين و الأخلاق[4].

1- فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحيل النّفسيّ ، ص 369 .

2 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

3- فرويد ، مستقبل وهم ،ت:جورج طرابلشي ،دار الطليعة ، بيروت ط3 ،1981 ، ص33 .

4- فرويد، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 366 .

إنّ الشّعور بالذّنب هو ذلك الصّراع بين المشاعر المزدوجة بين غريزتي الحياة (إيروس) و الموت (ثاناتوس)[1] ، وحينما يدرك المرء أنّه لا سبيل إلى التّعايش إلاّ في كنف الأسرة « عندئذ يعبّر الصّراع عن نفسه في شكل عقدة أوديب ، ويتسبّب في تكوين الضّمير و إنشاء مشاعر الذّنب الأولى[2] ».

وقد بحث فرويد عن مصادر الإحساس بالذّنب فوجدها في اثنين ؛ تولّد الأوّل من خوفنا من السّلطة الخارجيّة ، أمّا الثّانيّ فنشأ من خوفنا من الأنا الأعلى « ويقسرنا الأوّل على التّحول عن الشّهوات والتبرّء منها ، ويلحّ الثّانيّ علاوة على ذلك على انزال العقاب بنا ، طالما أنّ الإصرار على تمنّي الممنوعات لايمكن أن يخفى على الأنا الأعلى[3] ».

لكنّ الأمر الّذي حيّرني ، أنّ فرويد بيّن لنا أنّ الإنسان حالما تخلّى عن إشباع غرائزه ، رضيت عنه السّلطة ، وهذا ما يمنع تولّد الشّعور بالذّنب . لكن نجده يناقض قوله في الصّفحة نفسها من كتابه " الحب والحرب و الحضارة والموت " إذ رأى أنّه لايكفي التّخلي عن إشباع الشّهوات حتّى لايتولّد الإحساس بالذّنب لأنّ « الاشتهاء يستمرّ مع صاحبه ولا يمكن إخفاؤه عن الأنا الأعلى

1- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

2- فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ص94_95 .

3- المصدر السّابق ص 87 . و ينظر: المرجع نفسه، ص 97 .

ومن ثمّ يعاني المرء مشاعر الذّنب بالرّغم من إقلاعه عن الملذّات [1]» . إذن فرويد هنا لم يفصل بعد في فكرته ، وسنتطرّق لانتقادات أخرى فيما بعد .

عقدة أوديب فينا :

يقدّم لنا فرويد احتمالا مؤدّاه أنّ أسطورة أوديب تولّدت من حلم إنسانيّ قديم له علاقة بالاضطرابات الّتي تنتاب الطّفل في صلته بأبويه ، و يستشهد على هذا الاحتمال من الخطاب الّذي وجّهته الملكة الزّوجة "جوكستا" إلى الزّوج الإبن "أوديب" « كم من مائت قبلك ضاجع في الحلم أمّه ، ولكن يسهل عبء العيش لمن لايلق إلى ذلك بالا [2]».

وقد تحدّث فرويد عن رواج هذه الأسطورة بين المتلقّين حيث قال « إنّ تعريف الجمهور بشخصيّة أوديب ، هو في حدّ ذاته نداء لتوسيع دائرة المنال لدى المشاهد ، حيث يصبح بدوره بطلا أسطوريّا يجسّد قصّة ما ، مفكّكا بذلك شفرة الخطاب السّرديّ الّذي يجمع بين الوعي و اللاّوعي ، بين الماضي و الحاضر [3]».

1- المصدر نفسه ، ص 87 .

2- عبد الله بن حلي ، الفكر الفرويدي و أثره في التراث العربي، ص 77 . و ينظر كذلك: فرويد ، محضارات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ص 365 .

3 – Ernest jones ,oedipe et Hamlet p 10

لـم تسـتنكر نفـوس القـرّاء و المشـاهدين لمأسـاة سـوفوكليس ، بـل إنّهـم قـد استجابوا للمعنـى الخفـيّ و المضـمون المسـتتر فـي ثنايـا الأسـطورة ، كمـا لـو أنّ القارئ « قد اكتشف عقدة أوديب في نفسه عن طريق التّحليل الذّاتيّ ، كما لو كان يرى في إرادة الآلهة ونبوءة المنجّم أقنعه ممجّدة للاشعوره الخاصّ ، أو كما لوكان يشعر بصدى الرّغبة في استبعاد الأب و الزّواج من الأمّ[1] ».

إنّ التّأثير المأساوي للأسطورة أوديب فينا قد يعود إلى كون البطل كان ضحيّة القدر ومشيئة الآلهة القاهرة رغم محاولته تجنّب الويل الذي كـان يتهدّده « وعلى ذلك أراد المؤلّفون المحدثون أن يبلغوا مثل هذا التّأثير المأساويّ ، فحاكوا هذا التّضاد عينه في خيال من عندهم [2]».

إذن ، فما يحرّكنا تجاه هذه المسرحيّة ، إلاّ لأنّ مصيرنا قد يكون مثل ما حدث لأوديب ، و للأنّنا نملك النّوازع نفسها تجاه الأمّ و الأب ، غير أنّنا أفلحنا في تحويل نوازعنا الجنسيّة عن الأمّ ، ونسينا بغضنا وغيرتنا تجاه الأب ، فكنّا أسعد حظّا منه ونجاحا [3] .

1 – فريد ،محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 366 .

2– فرويد ، تفسير الأحلام ، ص 278 .

3– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

فأوديب هو شخص برئ في نظرنا ، كونه لم يعلم أنّ الرّجل الّذي قتله هو والده ، و المرأة الّتي تزوّجها هي والدته فجهل أوديب لكلّ هذا يعيد إمكانيّة النّظر إلى بناء شعريّ جديد ،أي نجعل أوديب بريئا من الذّنب الّذي قدر له أن يرتكبه والّذي دفع ثمنه غالبا كلّ الأطفال لتخطّيّ هذه العقدة[1] .

ومن ثمّ ، فإنّ الواقعة الّتي جهرت بها الأسطورة اليونانيّة أظهرها التّحليل النّفسي على أنّها « طبعة ثانية مكبّرة للطّبعة الطفليّة التّخطيطيّة[2] »؛ إذا تتجلّى فيها الرّغبة في امتلاك الأمّ كزوجة بصورة صريحة جدّا ، كما تبدو فيها بغض الأب والرّغبة في موته بصورة ظاهرة دون شحوب .

وبهذا فإنّ عقدة أوديب تحمل مدلولا رمزيّا فريدا، إذ أضحت الأمّ ترمز إلى كلّ ما لايحقّق ، في حين أصبح الأب يمثّل كلّ ماهو داخليّ فينا و الّذي على المرء أن يتحرّر منه ليحقّق استقلاله وحرّيته[3].

و إذا ما عدنا من جديد إلى كتاب فرويد " الطّوطم و التابو " وجدنا أنّه قد توصّل إلى أنّ جوهر الطّوطميّة هي عقد أوديب حيث يقول أنّ « عدم قتل

1 –Ernest jones ,oedipe et Hamlet p 29 .

2– فريد ،محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 371 .

3 – فرويد ،مساهمة في حركة التّحليل النّفسيّ ، ص 83 .

الطّوطم وعدم الاستخدام الجنسيّ للنّساء اللّواتي ينتمين إلى هذا الطّوطم تتطابقان بالمضمون مع جرمي أوديب الّذي قتل أباه و اتّخذ من أمّه زوجة [1] » .

وبهذا عدّت جريمتي أوديب « أكبر ذنبين في نظر "الطوطميّة " وهي أوّل نظام دينيّ اجتماعيّ عرفه النّاس [2]».

وعلى الرّغم مما تثيره الأساطير حول مضاجعة المحارم في النّفوس من نفور و كراهيّة واستفضاع « لم يتردّد النّاس في إباحته للآلهتم . كما يحدّثنا التّاريخ القديم أنّ الزّواج بالأخت كان واجبا مقدّسا على الملوك (فراعنة مصر وانعكاس بيرو) ، فكان بذلك حكرا لهم لا يباح لسائر النّاس[3] ».

و الجدير بالذّكر ، أنّه قبل أن يظهر التّحليل النّفسيّ منذ زمن طويل عدّت جريمتي أوديب الوجه الحقيقيّ للحياة الغريزيّة الجامحة ، إذ هناك فقرة لديدرو Didrot* تلفت الانتباه بشكل كبير ، حيث يقول فيها : : « لو أنّ المتوحّش الصّغير ترك وشأنه ، فاحتفظ بكلّ مالديه من حمق وخرق ، وجمع إلى قلّة عقل

1- فرويد ، الطّوطم والتابو ،ت : بوعلي ياسين ، دار الحوار ، سورية ، اللاذقية ،ط1 ، 1983 ، ص 159 .

2- فرويد ، محاضرات تمهيدية في التّحليل النّفسيّ ، ص 371 .

3 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

* دنيس ديدرو DENIS DIDERO (1713 -1784) ، فيلسوف وكاتب فرنسي ، أشرف على إصدار موسوعة الفنون و العلوم والحرف .

الطّفل في مهده ،عنف الشّهوات الّتي تحرّك الرّجل في الثّلاثين من عمره لحزّعنقه وضاجع أمّه [1]» .

وبهذا ، نرى أنّ عقدة أوديب تحيلنا على مراحل تطوّر الشّخصيّة تدريجيّا لدى الإنسان من طفل صغير إلى بالغ تراوده أحلام كثيرة تقرّر مصيره وأقداره .[2]

ورغم كلّ ما تقدّم من تفاصيل حول عقدة أوديب وأثرها لدى المتلقّي ، إلاّ أنّ العالم لم يثن على التّحليل النّفسيّ جرّاء كشفه عن هذه العقدة ، بل إنّ هذا الكشف قد أثار« أعنف مقاومة وأشدّ اعتراض[3] ».

عقدة أوديب عند مكتشفها فرويد:

كثيرا ما روى فرويد قصّته مع عقدة أوديب ، مصرّحا بمشاعره تجاه والدته عندما كان طفلا ، وكيف كانت تلك المشاعر تولّد فيه أحاسيس الغيرة من أبيه .

إنّ موقف أبو التّحليل النّفسيّ المتجاذب تجاه أبيه يجسّد أكبر مفاهيمة المركزيّة ألا وهي عقدة أوديب ، الطّفل الّذي يبغض أباه المنافس على حبّ الأمّ . إنّ هذا التعلّق الّذي أحسّه تجاه والدته « له من الأهميّة الكبيرة الّتي لاتلقي ضوءا

2 – Ernest Jones, Freud et Hamlet , p 13 .

3 – فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 229 .

على طباعه فقط ، بل تسمح بفهم أحد أهمّ اكتشافاته الأساسيّة أي عقدة أوديب... إنّ رتباطه بأمّه يكمن في أصل اكتشافه ، لكن مقاوّمته لهذا الارتباط هي الّتي حدّدت هذا الاكتشاف وحرّفته[1]» .

ولقد أقرّ فرويد نفسه بهذه العقدة بما فيها من تناقص وجدانيّ حيث قال في هذا الصّدد : « لقد وجدت بداخلي ميولا نحو أمّي ، بل مشاعر حبّ قويّة ، في حين أكنّ لوالدي مشاعر الغيرة ، وهي حسب ظنّي قواسم مشتركة بين جميع الأطفال ...[2]» . وما توصّل فرويد إلى هذا الاكتشاف الأوديبيّ إلاّ من خلال تحليله الذّاتيّ لنفسه بعد أن فارق والده الحياة [3].

وفي حديث إريك فروم Erich Fromm* عن سيجموند فرويد وتحليله لشخصيّته ، توصّل إلى أنّ حب فرويد لوالدته وإعجابه الكبير بها وطموحه في أن يكون يوما بطلا فاتحا ، جعله يطالب إلى انتزاع السّلطة من أبيه بل حتّى من إخوانه و أخواته [4].

1- إريك فروم مهمة فرويد تحليل لشخصيته وتأثيره ، ص 19 -20 .

2 - Ernest Jones , oedipe et Hamlet , p 09 .

3 - شاكر عبد الحميد ، الأسس النفسيّة للإبداع الأدبيّ ، ص 50 .

* إريك فروم (1900_ 1980) عالم نفس وفيلسوف إنساني ألماني أمريكي ، من أعماله : الهروب من الحرية 1941 ، التحليل النفسي والدين 1950 ، اللغة المنسية : مدخل إلى فهم الأحلام والقصص المنسية 1951 ، مهمة فرويد : تحليل لشخصيته وتأثيره 1959 أزمة التحليل النفسي 1970، وغير ذلك.

4 - إيريك فروم ، مهمة فرويد : تحليل لشخصية وتأثيره ، ص 60.

ومن ثم ، دخل فرويد في منافسة مع أبيه ، ولأنّ والد فرويد لم يكن رجلا قويّا ليخضع ابنه له ويقلّل من تمرّده عليه كان لزاما على فرويد الّذي يسعى إلى أن يكون الوالد البطل من « أن يثور ضدّ أب لايصلح إلاّ للابن عاديّ[1] ».

عقدة أوديب و الفنّ :

لقد استحوذ المفهوم الأوديبيّ على فرويد ، وراح يفسّر جلّ المؤلّفات الأدبيّة و الفنون الدرامية و اللّوحات الفنّيّة من خلفيّة أوديبيّة .

مضى فرويد في تحليله للخصائص الأدبيّة و الفنّية ومسألّيّة الفنّ مستخدما في ذلك منهج التّحليل النّفسيّ ، منطلقا من الفكرة الّتي اكتشفها ألا وهي عقدة أوديب [2] . ومن ثمّ ، أضحت هذه العقدة « هي الجوهر الّذي استند إليه فرويد في تفسيره للنّشاط الفنّيّ و غير الفنّي لدى أدباء أمثال شكسبير خاصّة في هاملت وكذلك لدى دوستويفسكي في الإخوة كارامازوف[3]» .

1- المرجع السّابق ، ص 61 .

2- ليين فاليري مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة ، ص72 .

3- شاكر عبد الحميد ، الأسس النّفسيّة للإبداع الأدبيّ في القصة القصيرة ، ص 51 .

لقد لمس فرويد وجود هذه العقدة عند الكتّاب و الشّعراء ، فقد صرّح في ذلك قائلا « نقع على هذه العقدة حتّى عند أولئك الحالمين الّذين أسعدهم الحظّ فجانبهم الصّراع مع آبائهم فيما بعد مرحلة الطّفولة[1] » .

بل إنّ عقدة أوديب قد وجدت في عالم الخيال ما يرسي قواعدها ويثبّت أقدامها أكثر من الواقع ، فقد أوضح أ.رانك O .RANk * « أنّ هذه العقدة بعينها حبت الشّعر الرّوائيّ بفيض من الدّوافع و الموضوعات ، عالجها بأن تناولها بضروب شتّى من التّحرير و التّغيير و التنكير، أي بألوان من التّحريف تشبه على وجه التّحديد ، تلك الّتي تنجم عن الرّقابة في الأحلام [2]».وسنستريث لاحقا في الحديث عن فرويد و الفن .

انتقادات لفرويد حول عقدة أوديب :

أكّد الكثير من الباحثين أنّ هذه النّظريّة عامّة وغير قابلة للتّطبيق على الكلّ حيث أجرى فرويد تحليلاته على شخصيّات تنتمي للطّبقة المتوسّطة ، إذ إنّ « من يقبل على العلاج بالتّحليل النّفسيّ هم أفراد الطّبقة الميسورة ماديّا ليس بينهم نفر واحد من الطّبقة الكادحة ، الأمر الّذي يثبت تبعيّة الفكر الفرويدي لطبقة

1- فرويد ، محاضرات تمهيديّة في التّحليل النّفسيّ ، ص 229 .

* أوتورانك (1884 -1939) محلّل نفسيّ ،وكاتب ومعلّم نمساويّ ،كان أحد الزّملاء المقرّبين لفرويد لمدّة عشرين عاما، كان كاتبا غزير الكتابة في موضوعات التّحليل النّفسيّ ومحرّرا في إثنين من أهمّ المجلاّت التّحليليّة ، ومديرا إداريّا بدار سيغموند للنشر .

2- ليبين فاليري ، مذهب التّحليل النّفسيّ و الفلسفة الفرويديّة الجديدة ، ص 82 .

خاصّة هي الّتي فرضت عليه أفكاره [1]» ، الأمر الّذي يستدعي أن يفسح مجالا للسّؤال عن بقيّة الطّبقات !!

لقد بيّن فرويد أنّ عقدة أوديب هي الّتي تحدّد الأنا الأعلى عند الفرد ، في حين أنّ الأنا الأعلى هو الّذي يحدّد عقدة أوديب عند البشريّة . وبهذا لمس ليبين فاليري تناقضا جليّا « بين نظريّة الشّخصيّة في التّحليل النّفسيّ وبين تفسير التّحليل النّفسيّ لتاريخ البشريّة [2] ».

إنّ هذا التّناقض في العلاقة بين تطوّر نفسيّة الفرد وتطوّر نفسيّة البشريّة يعود إلى أنّ فرويد قد افترض أنّ الأنا الأعلى في نفسيّة الطفل نشأ من الرّغبة الأوديبيّة الّتي خبرها الطّفل مع والده ، ولكنّه عكس افتراضه في تحليله لنفسيّة البشريّة ، إذ جعل الرّغبات اللاّشعوريّة تتحدّد بوجود الشّعور بالذّنب بعد مقتل الأب لدى الأبناء « ففي الحال الأولى تستخلص الدّعائم الأولى من رغبات الإنسان اللاّشعوريّة . أو بصورة أدقّ : بالوجود المسبق للقانون الأخلاقيّ [3] » .

1- عبد الله بن حلي ، الفكر الفرويدي و أثره في التراث العربي ، ص 111 .

2 – ليبين فاليري ، مذهب التّحليل النّفسيّ و الفلسفة الفرويديّة الجديدة ، ص 55 .

3 – المرجع السّابق ، ص 55 .

ومن العجيب أنّ فرويد جعل عقدة أوديب مصدرا ينبع منها جميع المشاعر كـ « مشاعر القربى الرّقيقة ، الكراهيّة دوافع الجريمة ، فعل ارتكاب الجريمة النّدم و الشّعور بالذّنب ، وكلّ شيء ينبثق ،عنده ، من "عقدة أوديب" [1]».

كما قدّم برونسيلاف مالينوفسكي Bronislaw Malinowski * أهمّ حجّة في وجه هذه العقدة ، فقد أثبت في بحثه أنّ عقدة أوديب لاتعمّم بل تردّ إلى حدودها الإقليميّة ، إذ وجد أنّ هذه العقدة « غير موجودة عند البيدائيّين الّذين عايشهم لسبب واحد هو أنّ الإنسان وسط ثقافة ما ، ليس هو ذاته في ثقافة أخرى واستنادا إلى هذا السّبب فإنّ عقدة أوديب لاتتخطّى المحيط الثّقافيّ الّذي ظهرت فيه[2] » .

عندما ذهب فرويد في طرحه أنّ الدّين نتج عن الشّعور بالذّنب في حين نتجت الأخلاق عن تنظيم الجنس ،جعل ليبين فاليري يستنتج من رأيه هذا أنّ الأخلاق موجودة في الإنسان قبل إقدامه على ارتكاب الجريمة ؛ أي أنّ الدّين والخلق سابقان لعقدة أوديب وليسا ناتجين عنها[3].

1- المرجع نفسه ، ص 82 .

* مالينوفسكي برنيسلوف (1884-1942) نثروبولوجيّ بريطانيّ من أصل بولنديّ ، أهمّ كتابته : الجريمة و العرف في المجتمع المتوحّش 1926 ، الحياة الجنسيّة عند المتوحّشين في ش.غ ملانيزيا 1929 .

2- عبد الله بن حلي ، الفكر الفرويدي و أثره في التراث العربي ، ص112 .

3 - ليبين فاليري مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة ،ص 56 .

كما حاول فرويد تفسير تولّد الدّين و الأخلاق و الفن و الحضارة البشريّة قاطبة على أساس عقدة أوديب ، وهذا مادفع أيضا ليبين إلى التساؤل و الاستنتاج في أنّ فرويد بتفسيره لظواهر متنوّعة جدا بواسطة العقدة نفسها هو في حقيقة الأمر لم لم يفسّر أي شيء ، و إذا ما « اعترفنا بأنّ " عقدة أوديب " تكمن حقّا في أساس الإبداع الفنّي ، فسنكون مظطرّين للاعتراف أيضا بأنّ الكتاّب " نقاد القلب" كما يدعو هم فرويد ، لم يفهموا أبدا سيكولوجيّة الإنسان[1] ».

ورغم كلّ ماتقدّم من تعقيدات حول عقدة أوديب ، إلاّ أنّها لاتزال سارية المفعول في تفسير الكثير من الشّؤون الثّقافيّة و السّيكولوجيّة لسلوك الأفراد والمجتمعات ، ومن المحبّذ أن نتتبّع تطوّر هذه النّظريّة في النّتائج الغربيّة لنستغلّها ونستثمرها في حياتنا اليوميّة .

1- المرجع السابق ، ص 82 .

إذا ما رصدنا الجذور الفكريّة الّتي شكّلت فكر فرويد ، فإنّنا نجد للعلوم الإنسانيّة عامّة ، وللأدب خاصّة ، النّصيب الأعظم في هذا التّكوين .

فعناوين مكتبته ، والمراجع المتعدّدة الّتي يحيلنا إليها فرويد في أيّ عمل من أعماله تنبئ عن ثقافته الثّريّة الّتي تمتدّ أصولها إلى الحضارات القديمة .

لقد اهتمّ الكثير من الباحثين بدراسة حياة فرويد وتتبّع مساره العلميّ والعمليّ ، فقد نشر سيجفريد برنفيلد Bernfeld Siegfried * سلسلة من المقالات حول طفولة فرويد وتكوينه المدرسيّ وبداياته المهنيّة [1] .

ويعدّ « أرنست جونز»[2] خير من مهّد الطّريق للباحثين من خلال توجيههم نحو المصادر الفكريّة والثّقافيّة لفرويد ، موضّحا الزّمن التّاريخيّ الّذي إنتمى إليه هذا الأخير، وقد وصف جونز تفاصيل إهتمام فرويد وشغفه بالبحث في مجال الفيزياء ،والذرّات والأعصاب ، ومن ثمّ ولوجه عالم الطّب وتفرّعاته المتعدّدة ، ناهيك عن الممارسات الطّبيّة وعن علاقته بـ جوزيف برويز ، ورحلته إلى باريس ، وكيف

*Sigfried bernfld: محلل نفساني من فيينا كان قريبا من فرويد ، نفي إلى الولايات المتحدة ، أرسى مع زوجته المعالم الأولى لما سمياه horco ettchgoyen المذهب الفرويدي 2002 .

1-Joelle hullebroeck – l'antiquité classique dans l'oeuvre de freud p 02

2-أرنست جونز Ernest Jones .: هو طبيب الأمراض العصبية ، ومحلل نفسي ، وكاتب السيرة الذاتية لسيموند فرويد ، كان رئيسا لجمعية التحليل النفسي الدولية ، كما أسهم في إنشاء مؤسسات ومنظمات في العالم الناطقة باللغة الإنجليزية ، كما كان رئيسا لجمعية التحليل النفسي البريطانية في 1920 و 1930.

لعب احتكاكه بكلّ من برنهايم *Bernhim وشاركو *Charcot في توجيهه صوب البحث في الأمراض العصبيّة ، وغير ذلك من مسارات[1].

لقد ألقى ريشارد ستيربا Richard Sterba وهو طبيب نفسانيّ من أصل فييني ، محاضرة بأكاديميّة الطّب بنيويورك ، تحدّث فيها عن الأنظمة التّربويّة والتّعليميّة الّتي شكّلت فكر فرويد وثقافته عبر طفولته، ومراهقته ، وشبابه ونضجه المتشبّع بالثّقافة الإنسانيّة[2] .

إضافة إلى أنّه في سنوات السّبعينيّات نُشِرَت العديد من المقالات والشّهادات الّتي تناولت مسار فرويد من خلال إبراز الدّور الهام الّذي لعبته التّربيّة والتّعليم الكلاسيكيّ في تعزيز قدراته الفكريّة والثّقافيّة .[3]

لقد كان الوسط الاجتماعيّ الّذي عاش فيه شبّان فيينا غنيّا بالثّقافة الأدبيّة الكلاسيكيّة . وتعدّ مذكّرات ستيفان زويج stefan zweig *خير شاهد ودليل على

*هيبوليت برنهايم (1840-1919) الأستاذ الفرنسي الشهير في الطب و الأعصاب اشتهر بإستخدامه للتنويم الغناطيسي في علاجه للأمراض النفسية

* جان مارتن شاركو(1825-1893)، طبيب أعصاب فرنسي ، يعدّ من مؤسسي علم الأعصاب البارزين ، تتلمذ فرويد على يديه

1 - IBID – P 03 .

2 - IBID – P 03

3 - IBID – P 03

* ستيفان زويج : (1881-1942) ولد بفيينا كاتب مسرحي ، وصحفي ،وكاتب سيرة النمساوية ، مات منتحرا .

ازدهار هذه الحقبة في المجال الفكريّ وما تعلّق به من ثقافة وفنّ ، فمن بين الّذين لمعوا في سماء الأدب والكتابة هم :

"رونال رايس" Ronl Rais – "ستيفان زويج" Stefan zweig – "آرتر شنيتزر" – Arthur Schnitzler – "بروك موزيل" Brock musil – "ميرا ريلكه" Maira rilka – "رينر " Raner – "هوفمان " Hofmannsthal ومن الرّسامين نذكر منهم : "كوهوشك " Kohoschka – "رلمت " Rlmit – "شيله " Schiele – و من الموسيقيين نجد " ماكلر " Makler – "بيرغ" Berg –" شوبرنغ" Shonberg و من الفلاسفة " فيتجنشتاين" Wittgenstein – "مارتن بيلر" Martin buler وكلَهم جميعا ينتمون إلى فيينا ، إذ يعدّون من أشهر وألمع الشّخصيّات فيها شأنهم في ذلك شأن فرويد[1]. وهكذا ارتبط فرويد منذ ولادته بمدينة ثقافيّه توهّج فيها الأدب والموسيقى والفنّ والفلسفة ، بل وحتّى الصّناعة .

لقد كان فرويد منذ صغره محبّا للقراءة ، شغوفا بها ، فقد كان على دراية بقصص الكتاب المقدّس و لم يكن قد تعلّم القراءة بعد[2]، كما كانت في طفولته ذكرى طيّبة مع كتاب lihistoire de la perse (تاريخ الفرس) ، والّذي مزّق من كثرة قراءته ؛ إذ كان يتناوب مع أخته على مطالعته[3] . بل كان يقرأ مسرحيّات شكسبير وهو في سنّ الثّامنة من عمره.

---

1 – IBID – P 05

2 . فرويد حياتي والتحليل النفسي ، ص 20 .

3 Isabelle Martin kamieniak , freud et la Litterature p 01 .

ومـن المعـروف تفضـيل فرويـد لـلأدب مـن بـين جميـع الفنـون ، فذوقـه للموسيقى كان ضئيلا جدّا، إذا ما تحدث عن هذا الجانب فإنه يشير إلـى مجموعة الأوبيرات الّتي كان يعرفها و إلى المظاهر الدراميّة للمسرحيّات التّي كان يحضرها إذا كـان الرّسم والنّحت قد نـالا اهتمـام فرويد طـوال حياتـه ، فإنّ الأدب قد احتلّ مكانة مركزيّة في مؤلّفه[1].

كما أنّ أبحاث ستيربا مكّنتنا من معرفة البرنامج الدّراسـيّ لفرويد فـي الثّانويّـة إذ بـدأ دراسـته و هـو فـي سـنّ العاشـرة فـي مدرسـة " ملكيّـة " حديثـة النّشـأة تقدّم شهادات بكالوريا شعبة العلوم الإنسانية ، ولها توجّه نحو العلوم والتقنية ، ومنهجها التّعليمـيّ يقوم علـى دراسـة اليونانيّـة اللاّتينيّـة القديمـة فـي نصّـها الأصـليّ بمحـاذاة مـوادّ أخـرى كانـت بمثابـة مـدخل لدراسـة الحضـارة واكتشـاف المواهـب الإبداعيّـة . وهذا ما أكّده أكثر وبشكل مفصّل جاك لوريد jacques le rider * من خـلال أبحاثـه الّتـي نشرت عـام 2002 ، إذ بيّن أنّ فرويد قد نشأ منذ ميلاده بين ثقافة علميّة وأدبيّة مكّنتاه من إقامة ألفة بينه وبين الكلاسيكيّات اليونانيّة واللاّتينيّة .[2]

1 – lakhdari sadi, freud et cerventes p 01 .

*جاك لوريد Jacques Lerider 20 فيفري 1954 في أثينا ؛ جامعي و مؤرخ فرنسي

2_ Joelle hulbroeck – l'antiquité classique dans l'œuvre de freud – p 05 .

كان فرويد يدرس ما بين ستّ إلى ثمانيّ ساعات في الأسبوع اللّغة اللاّتينيّة خلال ثماني سنوات من تعليمه المتوسّط ، وستّ ساعات كلّ خمسة عشر يوما لتعلّم اللّغة اليونانيّة[1]،بل قد وصل به الحال إلى تعلّم دروسه من خلال واحد وخمسين ساعة ونصف من المثابرة ، إضافة إلى برامج القراءة الّتي كان يضعها لنفسه ، والّتي كانت تبقيه مستيقظا إلى الثّانية أو بالأحرى الخامسة صباحا[2]. كما أنّه تعلّم اللّغة الإسبانية بمفرده ، من خلال قراءته لرواية دون كيشوت l'immortel Don Quijot لسر فانتس Cervantes [3].

في امتحان لفرويد يسمّى بـ "matura " ، وهو امتحان بكالوريا ، طلب منه أن يترجم ثلاثة وثلاثين بيتا من "أوديب ملكا " لسوفو كليس Sophocle * وفي اعتراف له كشف أنّه كان يعرف ذلك مسبقا ، لذا قرأ الأبيات جيّدا .[4]

وليس من الغريب أن تكون له أفضل علامة في بكالوريا اللّغة الألمانيّة، فقد صرّح أستاذه له علنا أنّه يملك " ما يسمّيه هاردر Herder بالأسلوب اللّغويّ الصّحيح والمميّز "[5]. وهكذا نجد أنّ فرويد كان متفوّقا في ثانويّته رغم الظّروف المعيشيّة الصّعبة الّتي جعلته يستدين من مكتبه كان يديرها أحد أقاربه .[6]

---

1 - IBID – P 06 .

2 - lakhdari sadi , freud et cervantes – p 01 .

* سوفوكليس (426_ 405 ق.م) ، روائي مسرحي مأساوي يوناني.

3 –Isabelle martin kamieniakak ; freud et la letterature – p 01

4 - Joelle hulbroeck – l'antiquité classique dans l'oeuverbe de frend P07 .

5 - lakhdari sadi , freud et cerventes –p 01 .

6 - I sabelle martin kamieniakak ; frend et la letterature p 01 .

هذا الشّغف للقراءة ، تجسّد من خلال رسائله في فترة شبابه ، حيث تمّ تقدير حجم الرّسائل الّتي كان يكتبها طوال أيّام عمره ، فإذا هي تفوق خمسة عشر ألف رسالة موجّهة إلى عدد لا يحصى من المثقّفين والمفكّرين ، وذلك لأنّ فرويد يعدّ في حدّ ذاته كاتبا حقيقيّا فذّا[1] ، بل نجده يطلب من صديقه إيميل فليس Emil Fluss * بالمحافظة والإبقاء على هذه الرّسائل لأنّه فنّان أسلوب ألمانيّ كبير "هذه الملاحظة هي فكاهيّة نوعا ما ، لأنّ فرويد يرى نفسه مبكّرا عبقريّ مستقبليّ " وهذا يعود بلاشك إلى ذوقه في الكتابة الّذي يتغذّى من خلال احتكاكه بأفضل الكتّاب والعباقرة منذ مراهقته[2].

من الرّسائل الّتي بعث بها إلى صديقه فليس ، نجد هذه الرّسالة الّتي يتحدّث فيها عن حبّه لمطالعة الكتّاب الكلاسيكيّين ، حيث قال : " يجب أن أنهي رسالتي اليوم أسرع ممّا أريد ، مع ترك فضولك غير المشبع ، لأنّه يجب عليّ أن أقرأ لمؤلّفين كلاسيكيّين إغريقيّين ولا تينيّين ، من بينهم أوديب ملكا لسوفو كليس ستفوتك أشياء رائعة إن لم تتمكّن من قراءته "[3] فضلا عن رسائل أخرى كانت موجهة إلى صديق طفولته إدوارد سيلبرشتاين Eduard Silberstein * من

1 – Ibid , P01 .

* إميل فليس (1856–1927) ، ولد ب فرايبرغ (ألمانيا) ، صديق فرويد منذ طفولته ، تبادلا الرسائل ، وسنورد في هذا البحث بعضا منها.

2 lakhdari sadi , Freud et cerventes P02 .

3 – joille hulberbroeck l'antiquité classique dans l'œuvre de freud – p 06 .

* إدوارد سيلبرشتاين (1856–1925) ، صديق الطفولة المقرب لفرويد ، وهو من أصل يهودي مثله ، تبادلا الرسائل طوال حياتهما ، وقد نشرت جزء من الرسائل التي مابين 1871–1881

1871 إلى 1881 ، كلّها تدلّ على حبّه وشغفه بالأدب والفلسفة وكافة العلوم الإنسانيّة ، حيث تمتزج فيها رغبته العارمة في القراءة ، بمتعته الكبيرة في تذوّق معانيها ، ويمكن ملاحظة ذلك منذ رسائله الأولى التي تعود إلى 1871 ، وقد كان عمره آنذاك خمسة عشر عاما .[1]

كما أنّ رسائل فرويد جلّها كانت مليئة باللّغة اليونانيّة أو اللاّتينيّة ، إذ يستمتع بسرد أحداث حياته اليوميّة بهتين اللّغتين ، فيستعمل أحرف يونانيّة للإشارة إلى بعض المفاهيم ، أو إلى ترقيم الفقرات ، وعلى طول مؤلّفاته تراه يذكر أبيات شعريّة باللاّتينيّة ويستعمل عبارات بألفاظها اللاّتينية أو اليونانيّة دون ترجمة أو اختزال ، الأمر الّذي استدعى أن يتجاهله بعض المترجمين أو تكمّله دور النّشر بملاحظات أو شرح أو تفسير لبعض الكلمات الّتي تبدو غريبة وغير مألوفة لجمهور القرّاء المعاصرين الّذين لا يفقهون في اللّغة اللاّتينيّة أو اليونانيّة .[2]

إنّ بإتقان فرويد لهذه اللّغات العديدة والّتي لم تكن لتمهّد له الطّريق لفهم الثّقافات المتباينة فحسب ، بل كانت خطوة مهمّة لتجسيد شأن ثقافيّ في المجتمع يصل به إلى الرّقي واحتلال المناصب العليا[3]،وهكذا فإنّ حياة فرويد كانت مليئة بالعلم ، أو كما وصف نفسه : " طالبا خلت نفسه من كلّ حاجة إلاّ للدّرس وهكذا أنت على صدر الحكمة ، سوف تجد في كلّ يوم لذّة "[4].

---

1 – IBID – P 01 .

2 – IBID – P 06 .

3 – IBID – P 06 .

4 . فرويد ، تفسير الأحلام ، ص 226 .

ورغم دراسة فرويد في مجال الطّب ، إلاّ أنّ ميله الأكبر كان للعلـــوم الإنسانيّـــة ، فها هـــي رسالـتـــه إلى صديقـــه فلـــيس سنـــة 1873 كتب فيها مايلـي : " فيما يتعلّق بسنتي الجامعيّة الأولى، يمكنني أن أقول أنّني انكببت على دراسة العلوم الإنسانيّة لا غيرها ، والّتي لا ترتبط إطلاقا ومهنتي والّتي لن تكون دون فائدة ... ولكي أركّز في دراستي جيّدا ، ولأثبت ، سأسجّل إذن في السّنة الأولى بجامعة الفلسفة "[1].

وهكذا ، نلمس اهتمامه بالفلسفة ، وبفلسفة داروين خصوصا ، بل إنّه ما استشعر يوما ميله للطّب وإنّما كان تعطّشه إلى العلوم الإنسانيّة أكثر منه إلى موضوعات العلوم الطّبيعيّة[2]. وقد اكتشف بنفسه أنّ طبيعة مواهبه منذ سنواته الأولى في الجامعة كانت تحول بينه وبين التّوفيق في كثير من فروع العلم الّتي اندفع إليها بحميّته الفتيّة وهنا يقول " وهكذا عرفت صدق تحذير مفيستوفوليس :" سدي تجول في دروب العلم ، لا يتعلّم المرء غير ما يستطيع تعلّمه "[3].

وها هو فرويد بعد مرور أربعين سنة من إنهائه لمرحلته الثّانويّة ، نجده يحنّ إلى سنواته الدّراسيّة من خلال شهادته الّتي قدّمها سنة 1914 ، حيث قال في رسالة له بعث بها إلى صديقه فليس: " ذكرى حياتنا من سنّ العاشرة إلى سنّ الثّامنة عشر مليئة بالأشياء الجميلة والحزينة ، بالتّحولات الأليمة وبالنّجاحات

1 – Joelle hullebroeck – l'antiquité classique dans l'œuvre de freud – p 06 .

2 . فرويد حياتي والتحليل النفسي ، ص 20 .

3 . المصدر نفسه ، ص 21 (هذا القول لفارست لجوته ، الجزء الأول ، مفستوفوليس والتلميذ) .

المستحقّة ، تحمل نظراتنا الأولى صوب عالم من الثّقافة مع الأسف اختفى واندثر كاد أن يصبح من وجهة نظري على الأقلّ بمثابة تعازي وتصالح دون هدف في مجابهة معارك الحياة[1]".

هناك رسالة ماجستير جديرة بالذّكر وهي لـ هنري إلنبرجر HenryEllenberger* أكّد فيها على ثقافة فرويد الأدبيّة الواسعة ، حيث قال : " رجل ذو ثقافة علميّة وأدبية واسعة النّطاق ، وقارئ شغوف ، قادر على إدراك وفهم المعنى والهدف من الأفكار الجديدة من خلال تبنّيها وتقبّلها وإعطائها شكلا أصليّا . كان لفرويد أسلوبا متميّزا حيث يصعب التّفريق بين ما يقترضه من مصادر وبين مداخلاته الشّخصيّة ، يقترض فرويد من أساتذته ، من زملائه ، من شركائه ، من تلامذته ، وحتّى من مرضاه " ، كما أنّ قائمة المصادر الّتي أدرجها إلنبرجرتشير إلى تأثّر فرويد بالفلسفة وبالمنطق وحتّى بالتّحليل الذّاتيّ ، فضلا عن الدّيانة والتّقاليد اليهوديّة ، وأذواقه الأدبيّة وبالخصوص شغفه بالرّومانسيّة الألمانيّة وتحديدا كتب كلّ من Rundy sky – Robert – Bakan – Grinstein – Anzien_ Assoun ومقالات لـ : Vermorel 1986 / Grubrick / smitis .1986 tidor1986/ 1986 – Anzien 1986 / Trosman 1973 .

1 – Joelle hullebroeck , l'antiquité classique dans l'œuvre de freud –p07

* هنري إلنبرجر (1905–1993) ، طبيب نفسي سويسري ، شقيق الجيولوجي فرونسوا إلنبرجر françois ellenberger

تمكّن فرويد . بفضل إتقانه للّغات من الاطّلاع الواسع على ثقافات أدبيّة واسعة ، فشبابه " كان مغمورا بالثّقافة الكلاسيكيّة ، بل سبح في رحابها وسمائها "[1]، فمن المؤرّخين اللاّتينيّين نجده قد قرأ لـ تيت ليف Tite live الّذي تناول شخصيّة هنبعل ، وكان من أحبّ الشّخصيات لدى فرويد في طفولته لدرجة تقمّصه لدوره ، بالإضافة إل Tacité و Salluste .أمّا من الشّعراء ، فقد قرأ لـ أوريد oride في كتابه التّحولات (les métomorphoses) ، و هوراس Horace ، بالإضافة إلى نصوص متعدّدة لشيشرون cicéron .

أمّا بالنّسبة لليونانيّين الإغريق ، فإنّنا نجد بعض المؤرّخين أمثال:هيرودوت Homére / Xénophon / Hérodote صاحب مؤلف " الإلياذة والأوديسة " إضافة إلى Domosthéne و sophocle : " ajorx et antigone " وأفلاطون platon[2]،فضلا عن كتاب أخرين أيضا أمثال – plaute – apulée catulle – properce– hésiode ، وفلاسفة آخرون أمثال: – Aristote empédole – pythagore– anascimaudre وقائمة طويلة من الدّراسات المتعلّقة بالتّاريخ القديم والزّمن الغابر ، أو الّذي سمّاه فرويد بـ " عالم من خيال " tout un monde de révre " أنعش فكره ، وأثرى معرفته ، ورافقه على مدار سنين حياته .[3]

1 – Joelle hullebroeck, l'antiquité classique dans l'œuvre de freud – p06.

2 – IBID – P 06 .

3 – IBID – P 13 .

كما نلفي قائمة أخرى ذكر فيها أسماء كتّاب آخرين قرأ لهم فرويد فنجد شيلي eschyle ، فرجيل virigile حيث أنّ بيته الشّعريّ رقم 312 قد تمّ ذكره وإدراجه في مؤلّفه " تأويل الأحلام" إضافة إلى شكسبير وسرفانتس ولوتاس le tasse ، وغوته goethe ، مع ذكره غالبا لكل من شيلر schiller ، heine موليير moliére ، وبومارشي beaumarchais، وديدرون didrot ، وبوالو boileau ، وبلمزاك balzac ، ودوستويفسكي Dostoiervshi ، و gable وكتاب أكثر معاصرة أمثال فيكتور هيجو victo hugo ، meger ، إدغار آلان edgar allan ، ومارك تواين marc twain ، وبرناردشو bernard schaw جونسن jensen مؤلف جراديفا gradiva ، وزولا zola وغيرهم[1].

مكتبـــة فرويـــد :

إنّ نشر مراسلات وأبحاث فرويد المختلفة ، خاصّة المتعلّقة بمكتبته ناهيك عن تعليمه وثقافته ، قد أعطتنا معلومات قيّمة عن قراءاته ، فعلى حسب لائحة الكتب الموجودة بمكتبته في لندن، فإنّنا نجد فيها أنّ ثلثي كتبه تعالج وحدها مواضيع الفنّ والإنسانيّة ، والثّلث المتبقّي هو للجانب العلميّ ، فضلا عن كتب في التّحليل النّفسيّ .[2]

1 – Isabelle martin , freud et la litterature p 01 – 02 .

2 Joelle hullebroeck – l'antiquité classique dans l'ouevre de freud p 12 .

وإذا ما بحثنا في مكتبة فرويد ، فإنّنا نلفي ألبوما يحمل صورا تعود إلى زمن بعيد اعتاد فرويد على تجميعها ، إذ إنّها تتضمّن وجوها صغيرة لطيفة لملوك مصريّين ، إضافة إلى تماثيل يونانيّة وأشياء عديدة جمعها فرويد طوال حياته ولقد حاول " جونز " وضع علاقة بين حبّ فرويد لتجميعه الصّور والتّماثيل القديمة لحضارات متعددة ، وبين شغفه الكبير لكلّ ما هو قديم ، فوجد أنّ هذا هو سرّ تميّزه الغريبSon unique extravagence[1]، وفرويد نفسه يرى أنّ " التّحف الفنيّة تنمّ عن مشاعر البحث عن الذّات ... من خلال تزويدنا جميعا ببهجة حقيقيّة "[2].

لقد بحث شتاينر في مكتبة فرويد ، فوجد بها ترجمة ل كومبرز comprez حول شعريّة أرسطو، كما وجد سلسلة من المبدعين تضمّنت كلّ من أرسطوAristot ،بارنيز bernays، برنتانو brentano وكتب لفرويد[3] .إضافة إلى مؤلّفين مهمّين حول عقدة أوديب ، أوّلهما مؤلّف ل كونستانس ليوبولد léopold constans بعنوان : " عقدة أوديب ودراستها قديما ، وفي العصر الوسيط وفي الأزمنة المعاصرة 1891) ، وثانيهما مؤلف ل ليستنر laistner بعنوان " لغز أبي الهول " (das ratsel der sphix 1889) وقد اتّخذه فرويد

1 - IBID P 11 .

2 - Isabelle martin , freud et la littérature p 02 - 03 .

3 - Joelle hullebroeck , l'antiquité classique dans l'ouvre de freud p 10 .

كمرجع أساسيّ في مؤلّفه : " تحليل بلا نهاية ، وتحيل بنهاية " ، والذّي نشر سنة 1935 .[1]

كما دلّتنا المجلّة البلجيكيّة أنّه إلى جانب الكتب المتعدّدة في التّاريخ وعلم الآثار ، نجد الأجزاء الإثني عشر للرّواية الذّهبية rameau d'or لفريزر frazer والأجزاء الأربعة لسالومون زيناخ salomon reinach ، إضافة إلى دراسات رود النّفسيّة " rohde psyche" ودراسات في الاعتقادات اليونانية وقراءات عن الأديان لروبرتسون سميث robertson smilh ، وبحوث حول النّظام الأموميّ das mutterrecht ليعقوب بوشفين Jokob bochofen ، كما أنّنا نجد له أيضا خمسة مؤلّفات رائعة ذات صيت في تلك الآونة متعلّقة كلّها بالثّقافات القديمة للشّعوب ، إضافة إلى كتب في الفنّ والتّاريخ منها مؤلّف إليوس llios لشليمان schliemann في بحثه عن الآثار بـ la troie وقد اقتنى فرويد جلّ كتبه الّتي تسرد قصّة بحثه عن الآثار في كلّ من ميسين mycéne ثمّ تيرانث tirynthe .[2]

وفي مكتبته أيضا نجد كتابا يتناول شخصيّة لطالما تقمّصها فرويد في شبابه ، وشدّت اهتمامه أكثر في أواخر حياته ، إنّها شخصيةّ " هنبعل" لبيكر G P Baker، فضلا عن دراسات أخرى متعلّقة بالتّاريخ القديم للشّعب اليهوديّ والمصريّ ، واليونانيّ ، والرّومانيّ مثل : (القصّة الرّومانية الرّائعة لتيودور

1 – IBID – P 12 .

2 IBID P 12 .

مومسن Theodor mommsen) . كلّ هذا يشير إلى أنّه قد أنهى قراءة الأجزاء الإثنى عشر للتّاريخ القديم حتّى آخر سنة من عمره ، والّتي نشرت من قبل جامعة كامبردج (1939 – 1923 – bury – j–b and others – eds) والتي ذكرها كمثال سنة 1930في مؤلّفه وهم الحضارة (malaise dans la culture)[1].

وهكذا ، فإنّنا نستشفّ أنّ هذه الكتب العديدة تنمّ عن اهتمامات فرويد وميولاته الواسعة للتّاريخ ولعلم الآثار وأصل الحضارات ، على غرار حضارات الشّرق ومصر واليونان والرّومان، فضلا عن الكتب الّتي واكبت عصر النّهضة أي الّتي تناولت التّاريخ الحديث أو المعاصر. أمّا عن أكبر عدد من الكتب أي ما يقارب المائة والأربعين عنوانا ما يقابل الثلاثمائة والثلاثين صنفا فهي تنتمي كلّها إلى المجال الأدبيّ[2].

وهذا ما أكّده ديديي آنزيو Didier Anzien * حين قال : " لم ينتم فرويد إلى ثقافة واحدة ، بل إلى ثقافات متعدّدة ، وهذا يفسّر قدرته على التّفكير النّفسيّ بمفاهيم متداخلة : الوعي واللاّوعي والإحساس ، والإحاطة بالأمراض والأعراض المرضيّة ، والنّمو ، وغيرها[3]" . ومن ثمّ أضحت المراجع الّتي نجدها

1 – joelle hullebroeck – l'antiquité classique dans l'ouvre de freud – p 12 .

2 – IBID P 12 .

*ديديي آنزيو (1923–1999) ، هو المحلل الفرنسي النفسي ، والأستاذ في جامعة باريس ، وعضو في جمعية التحليل النفسي بفرنسا

3 – IBID P 04 .

بمكتبته ، أو الّتي يحيلنا إليها في مؤلّفاته مصدر إلهام للعديد من الدّارسين المعاصرين ، والمتخصّصين في تحليل كتب فرويد .[1]

هناك موقف يستحقّ أن نذكره بعدما سردنا جلّ ما قرأه فرويد ، فقد كان يقام اجتماع لأساتذة التّحليل النّفسيّ كلّ يوم أربعاء بمنزل فرويد ، وكان من بين الحاضرين هيجو هيلر HegoHeller صاحب مكتبة بفيينا ، وقد طلب هذا الأخير من فرويد ومن كلّ من كان متواجدا بالجلسة أن يشير إلى عشرة كتب تعدّ من فئة " الكتب الجيّدة " .[2] وهنا سنذكر إجابة فرويد لأنّها تعنينا على وجه الخصوص.

قسّم فرويد في إجابته ، ضمن مراسلات 1873 – 1939 – 1960 الكتب العشرة إلى أصناف عديدة ، فرأى أنّ هناك ما يسمى " بالرّوائع الخالدة " وضمّنها أربعة كتب هي : هوميروس ، سوفوكليس ، غوته ، وشكسبير ، ثم بيّن أنّ هناك كتب هي " أكثر أهميّة وقيمة للإنسانيّة " والّتي ذكر فيها كلّ من كوبرنيك Copernic وداروين Darwin والتي تختلف بدورها عما يسميه بـ " الكتب المفضلة " ، إذ رأى أنه يمكن أن يدرج فيها : " الفردوس المفقود لميلتون Milton والحرباء لهان Henne .[3]

1 – IBID P 02.

2 – Joelle hullebroeck – l'antiquité classique dans l'œuvre de freud – p 01 .

3 – IBID P 01 .

أما عن الكتب الجيّدة ، فأكّد فرويد أنّها تعتبر (المؤلّفات الّتي شكّلت معرفتنا بالحياة ، وفهمنا للعالم ، كتب أحببناها ، وننصح غيرنا بقراءتها ، فهي لنا بمثابة الأصدقاء الجيّدون ، رفقاء يؤنسوننا أثناء الطّريق بأصنافهم المتنوّعة ولغاتهم المتعدّدة ، ومن بين هذه الكتب الّتي تلفت انتباهنا أكثر نجد : مفكّري اليونان " les penseurs de la gréce لتيودور كومبراز theodor comprez، إضافة إلى رواية فرنسيّة معنونة بـ : " الحجرة البيضاء " la pierre blanche لأناتول فرانس Anatole France [1].

وهكذا تغذّى كلّ من فكر فرويد ومؤلّفاته من لذّة القراءة ، الأمر الّذي وجد فيه ملاذا لذاته ، ومأوى لزيادة معارفه ، وإشباعا لفضوله[2] .

والملاحظ أنّ فرويد في أيّامه العشر الأخيرة اعتكف على قراءة الكتب الأدبيّة والفنيّة أكثر منها في العلميّة والنّفسيّة[3].فعلى حسب ماكس شور Max Schur * إنّ مؤلّف le peau de chagrin (جلد الحزن) كان آخر ما قرأ فرويد قبل وفاته .[4]

1 – IBID P 01 .

2 – Isabelle martin , freud et la littérature p 02 .

3 – Joelle hullebroeck , l'antiquite classique et l'œuvre de freud p 12 .

4 – Isabelle martin , freud et la litterature – p 01 .

*ماكس شور (1897–1969) ، ولد بأوكرانيا ، طبيب ومحلل نفساني مقرب من فرويد

بل الأمر المدهش أنّنا نجد فرويد في مؤلّفه " ما فوق مبدأ اللّذة " قد استشهد بأبيات من المقامة الثّالثة من مقامات الحريري ، حيث قرن عندما أراد أن يتحدّث عن البطء في المعارف العلميّة بما قاله الشّاعر :

تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لأطرق باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي وأسلك مسلك من قد مرج .
فإن لامني القوم قلت اعذروا فليس على الأعرج من حرج[1].

الكتّاب الّذين قرأ لهم وتأثّر بهم

هناك مؤلّف ظهر في خريف 2012 م ، عنون بـ " فرويد مع الكتّاب " يتناول حياة فرويد أشرف على كتابته كلّ من جان برتراند بونتاليس* Jean_Bertrand Pontalis وإدموندو غوميز مانجو Edmundo Gomez* Mango ، إذ يتناول حياة فرويد مع الكتّاب ومدى تأثّره بهم ، وقد أعلنا بوضوح

1 . فرويد ، ما فوق مبدا اللذة ، ص 107 . / وأذا ما عدنا إلى مؤلّف الحريري نفسه،ص 38 . فإننا نجد الأبيات هي كالآتي :

تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي وأسلك مسلك من قد مرج .
فإن لامني القوم قلت اعذروا فليس على الأعرج من حرج1.

* جان برتاند بونتاليس(1924-2013) ،فيلسوف ومحرر، وحلل نفسي ، وكاتب فرنسي .
* أدموندو غوميز مانجو ولد سنة 1940 بأوروجواي ، كان رئيس الطب النفسي السريري في كلية الطب ، وأستاذ للأدب وعضو في جمعية التحليل النفسي بفرنسا ، نشر مكانة الأم 1999 ، موت الأطفال 2003 .

في التّمهيد قائلين : " فلقد صوّبنا انتباهنا بالخصوص – وبهدف من وراء ذلك . نحو الكتّاب الّذين أثّروا بعمق في فرويد "[1].

إنّ هذا الكتاب يتمحور أساسا حول مؤلفات الكتّاب الّذين لعبوا دورا رئيسا في ظهور علم النّفس التّحليليّ أمثال غوته وشكسبير وشيلي وغيرهم ، وحول الّذين لهم علاقة أبعد ويحتلّون مكانة أكبر في اللاّوعي الأدبيّ لفرويد أمثال دوستو يفسكي ،و رولاند Rolland و Mann مان ، وأيضا أدولف دودي Alphonse Dandet وزولا Zola[2]، ومن ثمّ فهذا الكتاب هو بمثابة إلقاء تحيّة وتبجيل وتعظيم لمجموعة من المؤلّفين الّذين كان لهم وقعا خاصّا في حياة فرويد ، إنّه الكتاب الّذي يعدّ امتدادا وترابطا واتّساقا وحلقة وصل بينه وبين أساتذته الأدباء .[3]

فالكتاب اهتمّ خصّيصا بطرح مسألة مفادها علاقة فرويد مع الكتّاب ، أو بمفهوم أوسع من ذلك ، علاقة فرويد مع الأدب ، إنّه مشروع ذو أهمّية بالغة يتمحور حول " ربط العلاقات الّتي تجمع علم النّفس التّحليليّ بالأدب ، مقاربات أكثر قوّة وخصوصيّة من الإبداعات الفنّيّة الأخرى كالرّسم والموسيقى "[4]. وبهذا تشكّلت في فرويد شخصيّة الباحث الشّاعر ، وأتاح الأدب له تطبيقات على

1- anne camille plichart freud lecteur p 01 .

2 - IBID P 01 .

3 - IBID P 01 .

4 - IBID P 01 .

المستوى الموضوعيّ thématique أكثر منه على صعيد الكتابة نفسها ، وبهذا على عاتق فرويد دين للكتّاب الّذين ألهموه مؤلّفاته[1].

قسّمت أجزاء هذا الكتاب بين الباحثين مانجو وبونتاليس ؛ اهتمّ الأول بكتّاب اللّغة الألمانيّة، وقد وجد أنّ هناك تقدير شخصيّ وتبجيل كبير لغوته من قبل فرويد[2]،إذ صرّح هذا الأخير بنفسه حين قال : " وأذكر أنّ استماعي مقال جوته الممتع عن الطّبيعة يلقيه في محاضرة عامّة الأستاذ كارل بروك Carl Brock قبيل تخرّجي من المدرسة هو الّذي جعلني أقرّر دراسة الطّب"[3] .

لقد كان فرويد صاحب موهبة أدبيّة ، إذ حاز عام 1930 على جائزة غوته في الأدب حول مقال أدبيّ بعنوان " الزوال " كتبه عام 1916 بدعوة من جمعيّة غوتة في برلين بمناسبة إصدار كتاب عن الشّاعر الألمانيّ العظيم في عام 1938 .[4]

فأوّل تلاقيّ وتقارب بين فرويد وغوته لم يتأت من أبياته الشّعريّة ، ولكن من خلال النّصوص العلميّة الّتي نسبت خطئا لغوته ، إنّ علاقة فرويد بغوته علاقة أبويّة ، مشبعة بالحبّ ، علاقة الأستاذ بالتّلميذ ، ثمّ المرافق للسّفر ، علاقة تثمّنها

1– Anne camille – freud lecteur p 01 .

2 – IBID P 01 .

3 – فرويد ، حياتي والتحليل النفسي ، ص 21 .

4 – فرويد ، الطوطم والتابو ، ص 05 .

إشارات فرويد في العديد من مؤلّفاته إلى الرّواية الشّهيرة لغوته ألا وهي " فاوست "[1] *.

ومن ثمّ فكتّاب اللّغة الألمانيّة ، فضلا عن شكسبير ، هم الأقرب إلى فرويد ثقافيّا ، إذ كان فرويد يشير إليهم كثيرا في مؤلّفاته العلميّة وكتاباته الشّخصيّة لأنّه يتقاسم معهم آراءه وأفكاره سواء تعلّقت بالثّقافة أو بالمشاعر أو نابعة من ميولاته وأعماقه النّفسيّة .[2]

كما أكّد مانجو على هذا التّأثير الألمانيّ في فرويد لدرجة أنّه اقتبس أفكاره ومصطلحاته منهم ، ففكرة الحلم والنّكته التي تناولها فرويد في مؤلّفاته قد تمّ ذكرهما من قبل الرّوما نتيكيّين الألمان ، كما قدّموا أيضا تفسيرات لهذين النّشاطين وعلاقتهما بالرّوح الإنسانيّة، ويبدو أنّ فرويد قد حمل مشعل التّقليد السائد في الأدب الألمانيّ بعد بحثه المعمّق في مسألة الأحلام ، إذ خصّص وقته في البحث عن سمات تجلّي الرّوح .[3]

---

1 – annecamille – freud lecteur p 02 .

*فاوست : رواية لجوته ، تسرد حكاية ألمانية شعبية عن الساحر والخيميائي يوهان جورج فاوست الذي أبرم عقدا مع الشيطان " مفستوفيليس" من أجل اكتشاف الجوهر الحقيقي للحياة مقابل أن يستولي الشيطان على روحه بعد مماته، لكن الاستيلاء مشروط ببلوغ قمة السعادة.

2 – IBID P 02 .

3 – IBID P 02 .

وهكذا ، فإنّ العلاقة الّتي جمعت بين فرويد والكتّاب الألمان جعلت منه رجلا أديبا وعالما في الوقت نفسه ، فأضحى باحثا قادرا على تشكيل وإثراء فرضيّاته ، في ظلّ وجود تلاقح أدبيّ علميّ مستمر ، يثمر نتائج فعّاله .[1]

أما القسم الآخر من الكتاب " فرويد مع الكتّاب" ، فقد تكفّل بونتاليس بالأجزاء الأكثر تنوّعا ، مع متابعته لملاحظات في مواطن معيّنة إن تعلق الأمر بدوستو يفسكي ، أو العلاقة الخاصّة لفرويد مع شنيتزر والعلاقة الأشدّ قربا عندما يتعلّق الأمر بـ رولاند Rolland و مانMann .[2]

وقد بدأ بونتاليس حلقة تعداد الكتّاب بشكسبير إذ عالج في مقدّمة التّعداد العلاقة المتقاربة والاحتكاك العميق الّذي جمع كلاّ من فرويد وشكسبير ، أمّا الفصول الأخرى ، فكانت تتمحور حول جراديفا لجونسن gradiver de jonsen، وشنيتزر ، ومان ، ورولاند ، وزويج.[3]

هذه الفئة المعاصرة تقدّم مثالا حيّا عن حوار حقيقيّ متبادل ما بين الباحث والكاتب ، وهي في الوقت ذاته يشوبها غموض واضطراب في العلاقة ، ومن جهة أخرى نوضّح التّأثير المعتبر لفرويد على أدب عصره ، فأضحى بهذا يجمع بين صورة الباحث والكاتب[4].

---

1 – IBID P 02.

2 – IBID P 01.

3 . كتب فرويد إلى schnitzler : " أظن أني تعاديتك خوفا من أن تكون نسختي الثانية " من كتاب : freud et la litterature p02

4 – IBID P 02 – 03

نستنتج من خلال ما سبق أنّ هذا الكتاب يقدّم لنا بانوراما للتّأثيرات الأدبيّة في فرويد الّتي جعلت منه باحثا وشاعرا ، فهي بانوراما ثريّة ومغذّيّة للفكر والمعرفة ، مع تجميع عدد لا متناهيّ من الرّوافد الشّعريّة المختلفة ، إنّه كتاب يلعب دور النّاقل الثّقافيّ للمتلقّيّ بكلّ ما تحمله هذه العبارة من دلالة ، إن إنجاز مانجو وبونتاليس خير شاهد حي على المجهودات الكبيرة المبذولة لصالح الأبحاث النّقديّة والأدبيّة أيضا .[1]

وسأورد الآن مجموعة من الكتّاب البارزة أسماؤهم في حياة فرويد لما لهم من وقع وتأثير كبيرين في حياته العلميّة والعمليّة وحتّى الشّخصيّة .

تأثّر فرويد ب : سرفانتس Cervantes

إنّ فرويد كما علمنا قد خصّ العديد من مقاطع شكسبير في أهمّ كتبه ومقالاته ، كما لعبا غوته وشيلي دورا هامّا وأساسيّا في أبحاثه النّظريّة، وقد عني بالذّكر أيضا عددا معتبرا من الكتّاب اليونانيين واللاّتينيّين والألمانيّين والنّمساويّين والفرنسيّين المعاصرين منهم والكلاسيكيّين . ولعلّ التّأثير الأقلّ معرفة وشهرة ، أو بالأحرى الغامض هو تأثير الكاتب الإسبانيّ ميغيل دي سرفانتس سرفانتس سافيديرا *Miguel de Cervantes Saavedra في فرويد[2].

1 – IBID – P 03 .

2 – lakhdari sadi,Freud et cervantes p 02 .

*سرفانتس ،هو الروائي والشاعر المسرحي الإسباني ، اشتهر بروايته دون كيشوت التي نشرت في 1605 ، واعتبرت أول رواية حديثة.

هناك بعض القراءات لفرويد لم يتمّ التّأكيد عليها في نطاق الكتب الأدبيّة من قبل الباحثين ؛ ربّما لأنّ فرويد لم يشر إليها بشكل معمّق في مؤلّفاته ، مثلما نجد أبطال سيبيون Cipion وبرقانزا Berganza للكاتب سيرفانتس في إحدى رواياته النّموذجيّة ، والّتي نشرت عام 1613 ، المعنونة بـ " حوار الكلاب" colopquio de los persos[1] ؛ وهي نموذج حيّ يجسّم الصّداقة والشّباب عند فرويد ، كما نلاحظ بعض الإحالات في مؤلّفات فرويد إلى رواية " دون كيشوت " Don Quichotte ، وقد نشرت على جزأين بين أعوام 1605 – 1615[2].

هناك رسائل لفرويد يصرّح فيها أنّه تعلم مع صديقه سيلبرشتاين اللّغة الإسبانيّة بدون معلّم ؛ وذلك من خلال قراءتهما لروايات سرفانتس . ففي رسالة بعث بها إلى خطيبته مارتابرنايس Martha Bernarys بتاريخ 17 فيفري 1886 والّتي أراها من أكثر الرّسائل الّتي يصرّح فيها بتأثّره العميق هو وزميله سيلبرشتاين بروايات سيرفانتس حيث قال :

" إن صحّ التّعبير ، نحن لا نفترق ، معا تعلّمنا اللّغة الإسبانيّة ، لنا طريقتنا ومنهجيّتنا الخاصّة، وأسماؤنا الخاصّة كذلك ، استعرناها من حوار الكلاب لسيرفانتس من كتاب القراءة باللّغة الإسبانيّة ، إذ عثرنا في يوم من الأيام على حوار فكاهيّ فلسفيّ يدور بين كلبين نائمين بسلام عند باب مستشفى ، ومن ثمّ اقتبسنا أسماءهما في كتاباتنا وفي حديثنا ، سيلبرشتاين لقب بـ برجنزا وأنا

1 – Anne camille , freud lecteur p 03 .

2 – lakhdari sadi freud et cervantes p 02 .

بـ سيبيون، وكم هي المرات التي كتبت فيها : عزيزي برجنزا ، ووقعت : صديقك الوفي سيبيون ....."[1].

فمؤلّف سيرفانتس" حوار الكلاب " الّذي يعتبر فلسفيّا ، فكاهيّا ، يقترح لنا مشهد كلبين في مستشفى بلدالوليد valladolid (وليس سيفيا) ، اللّذين اكتشفا يوما معجزة الكلام ، وخوفا من حرمانهما من هذه الميزة قرّرا عدم النّوم وأن يحاول كلّ منهما سرد قصّة حياته للآخر ، وقد قام برجنزا بسرد قصّته ، في حين اكتفى سيبيون بالاستماع والتّعليق وإعطاء النّصائح وتقديم الملاحظات والحكم .[2]

من الواضح أنّ اسم سيبيون كان من اختيار فرويد بوصفه فيلسوفا لا يكفّ عن تذكير صاحبه سيلبرشتاين باستمرار عن أخطائه . فسيبيون لا يروي أبدا قصّة حياته لبرجنزا، بل بوصفه عالما يسدي نصائحا لصديقه في دور شخص يزرع البهجة والسّرور " فالحكيم الوقور سيبيون مستعدّ دائما لتقديم الشّروحات والحكم الأخلاقيّة الواعظة ، ولا يحكي حياته الّتي يعتبرها مقلقة له " وهذا ما شدّ انتباه المراهقين لما يحويه النّص الرّوائيّ من طابع سحريّ جماليّ ومعنى فلسفيّ عميق ، كما أنّ رمز الصّداقة الّذي تجسّد بين الكلبين هو ما جذبهما أكثر وتأثّرا به كلّ التأثير .[3]

1 – Ibid , p 03 .

2 – Ibid , P 03 .

3 – Ibid, P 04 – 05 .

قرأ فرويد أيضا رواية كيشوت ، وقد كتب سنة 1923 ، إلى مترجمه الأول لوبيز باليستيروس Lopez Ballesteros* بلغة إسبانيّة صحيحة جدّا ، خالية من كلّ خطأ ، قائلا أنّ " رغبته في قراءة كيشوت الخالدة هي الّتي دفعت به إلى تعلّم اللّغة الإسبانيّة بدون معلّم " ، وعلى حسب ما تدلّ عليه الرّسالة الموجّهة إلى سيلبرشتاين سنة 1874 ، فإنّ فرويد قد قرأ هذه الرّواية بنصّها الأصليّ عندما كان عمره 18 سنة ، إنها تمثّل وبوضوح متنفّسا وملاذا ومتعة لا مثيل لها من الرّوعة لأنّه عايشها[1].

إنّ هذه المتعة الكبيرة الّتي يلفيها فرويد في رواية كيشوت نجدها تتأكّد في رسائله الّتي بعث بها إلى خطيبته مارتا . ففي الرّسالة المؤرّخة في 22 أوت 1883 ، بعث لها بنسخة من هذه الرّواية إلى خطيبته والّتي تبدو أنّها لا تتأقلم والطّابع الإباحيّ نوعا ما لهذا الكتاب الّذي لا يليق بفتاه شابّة مهذّبة ويعترف لها فرويد أنّه قد نسي هذا الطّابع الغالب على النّص عندما بعثه لها وينصحها بقراءة تلك النّصوص السّرديّة الّتي تميل إلى الفكاهة ، وهي رائعة حسب قوله ، إذ قام بقراءتها مرّات عديدة ، وفي كلّ مرّة يجدها في غاية الجمال والرّوعة بل قد ضحك " كمجنون " على بعض العبارات السّاخرة ، وقد قضى من جديد ساعتين

*لويسي لوبيز باليستيروس (1896-1938) ، إنه ابن الصحفي والحاكم المدني مدرير لويس لوبيز ، له دراسات ألمانية وترجمات إسبانية ، اشتهر بنشره للأعمال الكاملة لفرويد.

1 - IBID P 05 .

في قراءة هذا النّوع من الرّوايات " بقلب فرح " إذ لا يوجد أحلى ولا أمتع من ذلك على حسب قوله .[1]

أعجب فرويد بأسلوب كتابة سيرفانتس الرّقيق والغنيّ بالأحداث والتّفاصيل ، كما أعجب بذكاء الكاتب اللاّ متناهيّ إذ " لا يمكننا أن نتخيّل إبداعا كاملا ولا أصيلا كهذا "[2].

وقد تأثّر جدّا بالبناء العبقريّ للجزء الأوّل من رواية كيشوت الّتي تنتهي بخاتمة رائعة تجمع بين البساطة وقوّة التّعبير والبناء المعقّد ، بل اعترف فرويد أنّ هذه الصّياغة الأسلوبيّة هي " الّتي جعلت منه قارئا مميّزا ، تستهويه وتؤثّر فيه دون شكّ ، وتوقظ فيه حسّ التّحليل "[3] .

أمّا عن الجزء الثّاني من الرّواية ، فقد بعث برسالة أخرى إلى خطيبته مارتا في 08 سبتمبر 1883 ، ينصحها بقراءة هذا الجزء لأنّه حسب رأيه أكثر رومانسيّة وأقل ضجرا وفزعا .[4]

أشار فرويد إلى أن شخصية سيرفانتس كانت في الأصل شخصيّة فكاهيّة لكنّها أضحت أكثر تعقيدا بسبب مقتضيات تشكيلة الكتاب ف " عندما جعلوا من سيرفانتس الممثّل الرّمزيّ لهؤلاء المثاليّين الّذين يؤمنون بتحقيق مثاليّتهم ، والّذين

1 – IBID P 06 .

2 – IBID P 06.

3 – IBID P 07.

4– IBID P 07.

هم عبيد واجبهم ، ورهان وعودهم ، توقفت هذه الشّخصيّة عن كونها فكاهيّة فأضحت لها بعدا تراجيديّا . "[1]

نلمس هنا نوعا من المفارقة الرّائعة بين إعجاب فرويد بكتاب سيرفانتس وبين استعماله كمشروع بحث ودراسة ووصفه بالأسلوب المعقّد . وقد ترجع نظرته هذه إلى فرضيّتين : الفرضيّة الأولى قد تكون في أنّ فرويد لم يقرأ الإسبانيّة جيّدا ليعجب بكلّ محتويات النّص ؛ فنحن لا نعلم درجة تحكّمه وتدقيقه في هذه اللّغة والّتي يبدو أنّه أتقن كتابتها سنة 1923 ، ولقد اشتكى وتذمّر هو نفسه على أنّ لغته الإسبانيّة ليست سوى آثار مهدّمة في إحدى رسائله . ولأنّ أسلوب سيرفانتس ليس بالصّعب ، فإنّه يظهر لنا من خلال ملاحظات فرويد أنّه قد فهم ما هو أهمّ في النّص[2].

أمّا عن الفرضيّة الثّانيّة الّتي تفسّر وصف فرويد لأسلوب الكاتب بالغامض المعقّد ، فقد يعود هذا إلى أنّ المؤلّف لا ينتمي إلى أجناس القراءات التّحليليّة فهو معقّد جدّا نظرا للخلفيّات الأدبيّة اللاّ متناهيّة الّتي يحتويها في مضمونه إضافة إلى أسلوبه السّاخر التّهكميّ الّذي يعيق الفهم ، فهو عمل مفتوح على عدّة تأويلات وعلى عدّة قراءات ، كما أنّ الكاتب سيرفانتس كان من أصل يهوديّ وهو الأمر الّذي يجهله فرويد دون شك ، ممّا جعله أكثر حذرا وغموضا وتمويها .[3]

1 – IBID P 08–09.

2 – IBID P 09.

3 – IBID P 09.

وهكذا ، فإنّ شغف فرويد وحبّه لقراءة مؤلّفات هذا الرّوائي الإسبانيّ يبقى غامضا ومليئا بالألغاز مقاوما لكلّ تحليل شأنه في ذلك شأن الرّوائع الأدبيّة الخالدة الّتي لا تقبل التّفسير ، فقد نال فرويد متعة كبيرة بقراءة هذه النّصوص الّتي لها طابع السّخريّة والفكاهة والّتي تختلف بدورها في أغلب الأحيان عن مواضيع النّصوص الألمانيّة الّتي تعوّد على قراءتها ، إنّها نصوص ماتعة غير قابلة للتّأويل والفهم ، إنّها لعبة مجانيّة مفتوحة لكلّ قارئ ، وهذا ما جعل فرويد يتعلّق بهذا المؤلّف ويتأثّر به كلّ هذا التّأثير و الّذي يعود إلى " حدس النّوعيّات ومشاكل متقاسمة بينه وبين الكاتب من خلال أصول مشتركة مجهولة ، وبناءات نفسيّة متقاربة جدّا . "[1]

تأثر فرويد بـ فرانز برينتانو Franz Brentano

إنّ رسائل فرويد إلى صديقه سيلبرشتاين تكشف عن مدى شغفه وتأثّره الفكريّ والثّقافيّ بالمحاضرات والملتقيات الّتي كان يلقيها الفيلسوف فرانز برينتانو *،والّتي كان يحرص فرويد على حضورها شخصيّا ، لأنّه كان يقدّس ويحترم كلّ ما هو جادّ ، فأحبّ جهده ، حرّيته ، قوّة شخصيّته ، واستقلاله الفكريّ وذكائه الفذّ ناهيك عن أناقته ورقيّ أفكاره .[2]

---

1 – IBID P 11.

*فرانز برنتانو : هو الفيلسوف الألماني ، وعالم النفس الكاثوليكي النمساوي ، تأثر بأرسطو وفلاسفة العصور الوسطى ، وحاول تأسيس علم النفس ، وتساءل عن خلود الروح وامور اخرى ميتافيزيقية.

2 – joelle hullebroeck, freud et litterature p 07 .

خلال سنة فرويد الجامعيّة الثّانيّة (1874 – 1875) ، حضر ملتقى لبرنتانو يدور موضوعه حول أسئلة ميتافيزيقيّة وعن فكرة وجود الله ، وملتقى آخر عن المغزى من الحريّة الّتي نادى بها ستيوارت ميل Stuart Mill*، وقد كان وقع التّأثير على فرويد كبيرا جدّا ، لدرجة أنّه صمّم على الانتقال إلى برلين لدراسة حوالي سنة تقريبا عند كل من هيلمهولتز Helmholtz و ريمون Reymond و فيرشو virchow– (الّذي يعدّ من أكبر ممثّلي المادّيّة آنذاك) بغرض مواصلة حضور ملتقيات برنتانو، ولإمكانيّة متابعة التّحضير للدّكتوراه في الفلسفة وعلم دراسة الحيوان (zoologie)* ، وهذا ينمّ عن حضور الحقيقة المادّيّة والرّوحيّة في شخص فرويد[1].

في صيف 1876 ، كان هناك ملتقى من ثلاث ساعات عن " فلسفة أرسطو " ، سمع فرويد برنتانو يتحدّث عن فكرة احتمال وجود اللاّوعي العقليّ لدى الإنسان ، وعن مواضع شتّى حول اشتراك الأفكار وتحليلها وتطويرها ، وهنا نلاحظ بشكل جليّ تلاقي وجهات النّظر ما بين برنتانو وفرويد وتأثّر هذا الأخير واقتباسه منه لفكرة الأحلام ، والجنون ، والعديد من الأمراض والأشكال العقليّة الغريبة ، بل أخذ حتّى من أفكاره حول التّطور النّفسيّ ، وحول المتناقضات

*جوهن ستيوارت ميل(1806–1873)،ولد بفرنسا،كان فيلسوفا وعالم منطق،ومن بين المفكريين الليبيراليين الأكثر تأثيرا في ق19،وقد ألف أول أطروحة عن الديمقراطية سنة 1861 .

*الزولوجيا: فرع من علم البيولوجيا ، يهتم بدراسة الحيوانات وتركيبها ووظائفها وسلوكها وتطورها . *

1 – IBID P 07.

كالحبّ والكره ، الرّغبة والنّفور ، فضلا عن اهتمامه بالشّعور وكلّ ما يتعلّق بالجانب العقليّ والنّفسيّ .[1]

فمنهجية هذا الفيلسوف النّمساويّ قد مهّدت لفرويد أسس بحثه في مجال علم النّفس ، إذ كان برنتانو مطّلعا بشكل كبير على مؤلّف أرسطو ، فأطروحته سنة 1862 المتعلّقة بأرسطو كانت بمثابة مرجع أوّليّ للميتافيزيقا ، كما أحدث تأثيرا كبيرا من خلال مؤلّفاته الأخرى على كلّ من هوسرل husserl و فريجه frege و هايدغر herdegger.[2]

بكتابة برنتانو لمقالات تحوي أسئلة متنوّعة تتناول مواضيع في علم النّفس والفيزياء وعلم الأحياء الخاصّ بالإنسان والحيوان ، تأثّر فرويد بها تأثرا كبيرا لدرجة أنّه ذكر اثنين منهم في كتابه تفسير الأحلام ، وهما : حول الأحلام ، وعن تأويل الأحلام ، ومواضيع أخرى ذات أهمّيّة بالغة متعلّقة بالذّاكرة والأحلام واليقظة وغيرها[3].

وهكذا ، نلمس التّداخل والتّشابه الكبير بين نصوص برنتانو وأفكاره وبين الأسئلة المتعدّدة الّتي تناولها فرويد في مؤلّفه " تأويل الأحلام " وبالخصوص فيما يتعلّق بالاشتراك والذّاكرة والعلاقة بين الفكر والشّعور والصّورة ومفهوم الأثر ورؤية الوجوه في الأحلام ، والرذغبة بوصفها غريزة في الإنسان . كما أنّ الحلم كنتاج

1 – IBID P 08.

2 – IBID P 08.

3 – IBID P 08.

روحيّ بشريّ مليء بالمعاني وبفكرة التّلذّذ والنّفور ذكرها فرويد في مؤلّفه " ما فوق مبدأ اللذة "، وهي مفاهيم متقاربة جدّا ومفاهيم أرسطو ، ومن ثمّ نستشفّ أنّ هناك علاقة وطيدة بين أعمال برنتانو في دراسته لمنطق أرسطو ، وبين مؤلّفات فرويد حول علم النّفس لدرجة أنّنا قد نستقي المعلومات من خلال قراءة ومراجعة نصّ واحد[1].

تأثر فرويد بـ يعقوب برنيز Jacob Bernays

يعقوب برنيز * هو عمّ زوجة فرويد مارثا برنيز كان من أشهر العلماء في عصره ، ألّف كتابا عرف جدلا وتعليقا كبيرين عنون بـ : "مبحثين حول نظريّة دراما أرسطو " ، كما كان على احتكاك كبير بأسماء لامعة في الفكر والثّقافة كنيتشه Nitzche وورود Rohde و مومسن Mommsen و فيلاموفيك Wilanouitz ، كما تخصّص في دراسات أرسطو ، وسكليجر scaliger وهرقل heraclite ، وكذلك درس الدّيانة اليهوديّة خلال الفترة اليونانيّة – الرّومانيّة ، وهو كاتب بارع لمنثورات نقديّة حول نصوص قديمة وبحوث عن كلّ من مومسن Mommsen و جيلبون Gilbon [2].

1 – IBID P 08.

*يعقوب برنيز Jocob Bernays (1824–1881) : هو العالم اللغوي الألماني ذي الأصل اليهودي وهم عم مارثا برنليز ، زوجة فرويد وقد تقدم بأطوحة "فقه اللغة" في إحدى الجامعات الألمانية "جونBonn " وكان من أوائل اليهود المسموح لهم بذلك لكنه لم يسمح له بالأستاذية فعين مديرا بالمكتبة .

2 – IBID P 09.

تحدّث أرلندو دانتي موميجليانو Arnaldo Dante Momigliano* عن ثقافة ونبوغ الباحث يعقوب برنيز، وعن اهتمامه العارم بمؤلّف أرسطو ، وتعمّقه الكبير في دراسته الّتي أحدثت ضجّة ونجاحا كبيرين ، ليبيّن موميجليانو مدى تأثّر فرويد بدراساته حيث قال : « ليس لي دليل قاطع على أنّ فرويد قد قرأ مؤلّفات يعقوب برنيز... ولكنّي مستغرب تماما أنّ عمل برنيز الشّهير حول أرسطو ونظريّة التّنفيس katharsis قد جهلها فرويد خلال سنوات تكوينه ، إذ كلّ المواصفات الّتي قدّمها برنيز تتقارب بشكل كبير ومفاهيم فرويد المنقولة من المسرح بطريقة علاجيّة للهيستيريا ، فوحدها قراءة مؤلّف برنيزالأصليّ مع معرفة تحليليّة لمؤلّف فرويد ، يمكنها تأكيد ذلك » .[1]

إنّ تأثّر فرويد بأفكار برنيز، ماهي في الأصل إلاّ مفاهيم مستقاة من أرسطو ، فكثيرا ما نجد تقاربا ملموسا بين نظريّات فرويد في التّحليل النّفسيّ وبين النّظريّة التراجيديّة الأرسطيّة ، فالتّنفيس العاطفيّ الّذي يتحرّر من خلال موضوع ما بالألم أو باللّذة ، وأيضا ما يعرف بالاعتراف والتّقدير أو تبادل الثّروة لها قرابة واضحة مع مصطلحات استعملها أرسطو سابقا ، كما أنّ فرويد استخدم ميكانيزمات وصور بيانيّة تتقارب كثيرا وفكر أرسطو .[2]

---

*موميجليانو momigliano (مؤرخ إيطالي يهودي، تميز بكتابته ودراسته للتاريخ حول العالم القديم ، درس التاريخ الروماني، كما درس المؤرخين اليونانيين القدماء، أسهم في منشورات الموسوعة الايطالية والبريطانية، وقاموس أكسفورد، كما جمعت عدد من مقالاته نشرت بعد وفاته.

1 - IBID P 09.

2 - IBID P 09-10.

هذا التأثّر الأرسطيّ الّذي نجده في مؤلّفات فرويد ليس غريبا ، إذ إنّه منذ أن كان مراهقا كان ميّالا إلى هذا الفيلسوف اليوناني ؛ ففي 21 فبراير 1875 كتب فرويد لزميله سيلبرشتاين رسالة تحدّث فيها عن واحدة من محاضرات أرسطو بعنوان مكتوب باللّغة اللاّتينيّة ، أين يؤكّد فيها قائلا :«إنّ وجودي يكفي وحده لتخليدي كالمتتبّع السّعيد لأرسطو » ، فتمثيله بالشّخص السّعيد الّذي سيتابع درب أرسطو وهو في سنّ التّاسعة عشر عاما ، هو قول يحتاج في حدّ ذاته إلى دراسة واهتمام .[1]

تأثّره بقصّة هانري شليمان Heinrich Schliman :

لقد كان فرويد شغوفا جدّا بمعرفة مخلّفات الإنسان المادّيّة من آثار وما تحويه من مباني وعمائر وتماثيل وغيرها وذلك من أجل معرفة الكيفيّة الّتي تطوّرت بها الحضارات ، فعكف على زيارة المتاحف والوقوف على الأماكن الأثريّة ، وجمع التّماثيل وقراءة الكتب المتضمّنة لهذا العلم . ولدرجة تأثّره بهته الوقائع التّاريخيّة فإنّه تمنّى موته هو وزوجته مارثا بإحدى المدن الإغريقيّة القديمة « أين يوضع ضريحهما جنبا إلى جنب ، فيرقدان بسلام أبديّ »[2].

1 – IBID P 08.

2 – joelle hulberoeck – l'antiquité classique dans l'œuvre de freud – p 02.

إنّ حبّ فرويد الشّديد للتّحف المصريّة واليونانيّة والرّومانيّة ، وتجميعها ، قد رافقه طوال حياته ، إذ بمجرّد وصول فرويد إلى باريس في أكتوبر 1885 م توجّه إلى متحف لوفر louvre *لرؤية الجناح الخاصّ بالنّماذج الكلاسيكيّة القديمة وإبّان ذلك كتب لخطيبته مارثا رسالة قائلا لها:

« كنت بالأمس في متحف لوفر زرت من خلاله جناح النّماذج القديمة أين يوجد عدد لا يحصى من التّماثيل ، ومن الأحجار والمخطوطات الرّائعة وملابس يونانيّة ورومانيّة ، البعض من هذه التّحف فائقة الرّوعة والجمال ، كما أنّ هناك تماثيل جديدة أعيد فيها إنتاج نماذج الآلهة القديمة ... وقد تبقّى لي وقت قصير أين اطّلعت بل ألقيت نظرة على تحف أخرى مصريّة وغيرها والّتي لا بدّ لي أن أراها مرّات عديدة ، فقد كان هناك ملوك أشوريّين عظماء كالأشجار الشّامخة ، يحملون في أيديهم أسودا وكأنّها عصيّ ، وثيرانا على هيئة إنسان بشعر مجعّد وبنقوش واضحة وكأنّها حطّت بالأمس فقط ، إضافة إلى تماثيل لملوك مصريّين بألوان زاهيّة مفعمة بالحياة ، وملوك أقوياء ، إنّهم حقيقة أبو الهول sphinx عالم من خيال !! "[1] freud 1960.

---

*متحف لوفر : يعد أكبر صالة عرض للفن عالميا ، يقع في باريس (بفرنسا) به العديد من الأثار المصرية سرقت أثناء الحملة الفرنسية على مصر ، كان عبارة عن قلعة تاريخية لتتحول إلى قصر ملكي عرف بقصر لوفر

1 – IBID P 11.

لقد أعجب فرويد بشخصيّة شليمان * بعدما قرأ قصّته وتأثّر بها كثيرا ، فقد قام هذا العالم بالتّنقيبات بـ لتروا la trois (بداية من عام 1871) ، وبعد ذلك بـ ميسينا Mycene و تيرانث Tirynthe واللّتان سلّطتا الضّوء على بقايا عالم ظلّ مهجورا لملايين السّنين ، فتحوّلت الأسطورة إلى بقايا آثار عالم تاريخيّ، إذ إنّ كلّ الجرائد والمجلاّت الثّقافيّة تحدّثت عن أهمّية وغنى الحضارة الميسانية الّتي أزيح عنها الغبار بعد طول انتظار ، والّتي سبقت التّاريخ اليونانيّ والأوروبيّ بملايين السّنين .

لقد تحدّث شليمان عن طفولته الحزينة الّتي كانت لاتدخلها السّعادة إلاّ حين يتردّد على قراءة الكتب الّتي كان والده يقّدمها له ، وهي في جلّها كتب لاتينيّة كلاسيكيّة ، كان رجلا عصبيّا عنيفا من جهة ، ومدمن خمر من جهة أخرى ، عرف بقصّة حبّه مع فتاة صغيرة والّتي كانت ترافقه باستمرار إلى ضواحي المدينة بحثا عن البقايا الأثريّة ؛ إذ إنّ منذ طفولته حلم بإيجاد بقايا لتروا، وتحوّل هذا الحلم إلى هوس لازمه طوال حياته ، وبعد أن عاش في فقر مدقع استطاع أن يجمع ثروة هائلة بفضل موهبته التّجاريّة .[1]

* هانري شليمان (1822–1890) ،عالم آثار ألماني، يعد أول من بدأ دراسة تاريخ اليونان القديم والحضارات المجاورة على بحر إيجه، اكتشف هو وزوجته صوفيا إنجا سترو مينوس شليمان مدينة طروادة المدفونة،فيما تسمى الآن تركيا ،اشتهرت هذه المدينة بالملحمة اليونانية الإلياذة،واستطاع مسترشدا بها اكتشاف طروادة عام 1870

1 – IBID P 10.

من خلال سردنا إيجازا لقصّة شليمان وتنقيباته ، كيف لا يمكننا أن نتصوّر مدى تأثير هذه القصّة في فرويد ، خاصّة عندما تناولت أهميّة أحلام الطّفولة كيف لا يمكننا أن نتصوّر مدى تقمّص فرويد لهذا الطّفل الفقير ، الحالم ، الّذي عرف نجاحات عظيمة ووصل إلى تحقيق رغباته الطّفوليّة ، كيف لا يمكننا أن نتصوّر تأكيد العلاقة الّتي تجمع مسار التّحليل النّفسيّ بعلم الآثار بشكل أعمق وقد صرّح فرويد بنفسه في رسالة كتبها إلى صديقه فيلهلم فليس Fliess Wihelem * عندما كان يوشك على إنهاء مؤلّفه الكبير تفسير الأحلام ، حيث قال له : " لقد قرأت مؤلّف لتروا لشليمان، وقد أمتعتنى قصّة طفولته ، لقد كان هذا الرّجل سعيدا جدّا عند عثوره على كنز بريم priam ، لأنّه لا يوجد فرح يضاهي سعادة تحقيق حلم من الطّفولة "[1] .

وهكذا ، كان لفرويد ميله الأكبر وتأثّره العميق بعلم الآثار ، فمع نهاية حياته ، أعترف لصديقه ستيفان زويج في رسالة كتبها قائلا فيها : « مع كلّ التّواضع الّذي عرفه مشوار حياتي، قمت بتضحيات كثيرة لجمع نماذج يونانيّة قديمة ورومانيّة ومصريّة ، فأنا أقرّ في الواقع بأنّي قد قرأت مؤلّفات حول علم الآثار أكثر منها حول علم النّفس"» .[2]

* فيهلم فليس wilhelm Fliess (1862–1892) درس الطب ، وتخصص في أمراض الأذن و الأنف و الحنجرة ، التقى بفرويد عام 1887 وتبادلا الرسائل مدة تزويد عن خمسة عشر عاما .

1 - IBID P 10.

2 – IBID P 11.

تأثّر فرويد تيودور كومبرز Teodor Comprez

حضر فرويد في شبابه إلى إحدى محاضرات كومبرز* حول الأحلام عند قدماء الشّعوب والّذي نشره في كتاب بعد ذلك ، وقد أشار فرويد إلى هذا الكتاب وذكره في مؤلّفه " تأويل الأحلام".[1]

إبّان 1893 ، بدأ كومبرز في نشر على شكل أجزاء ما سمّي بعد ذلك بمؤلّفه " مفكريّ اليونان " الّذي أنار من خلاله الضّوء على الفلسفة ببصمات وملامح من الماضي الغابر ، واضعا به الفلسفة اليونانيّة في إطارها التّاريخيّ والنّفسيّ ، تمثّل من خلاله الشّعب اليونانيّ كأشخاص أصليّين مرتبطين بزمانهم أكثر من كونهم مجرّد أنظمة فلسفيّة ميتافيزيقيّة ، بل عدّهم أصل الرّقيّ ، وأساس الحضارة الإنسانيّة[2].

هذا الطّرح في الدّراسة ، هو ما جعل هذا الكتاب يحتلّ مكانة كبيرة في حياة فرويد ، إذ عدّه من ضمن الكتب العشرة الجيّدة ، بل رافقه هذا الاهتمام طوال حياته ، إذ اهتمّ كثيرا بالثّقافة اليونانيّة على مدار تطوّرها التّاريخيّ ، وبالأخصّ

* تيدور كومبرز Teodor Gomprez(1832-1912) : هو الفيلسوف النمساوي ، درس فقه اللغة الكلاسيكية ، وانتخب عضوا في أكاديمية الطب ، تحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة ، ثم دكتوراه في الأدب بجامعة كامبردج.

1 - IBID P 02.

2 - IBID P 02.

المدروسة من قبل كومبرز « ريشة ثريّ ، يهوديّ الدّين ، محترم من قبل الجميع أفكاره قيّمة ، ومهاراته الأدبيّة لا يستهان بها » .[1]

إعجاب فرويد بالكاتب أنتال فرانس Anatol France

نال الكاتب أنتال فرانس* ومؤلفه " على الحجرة البيضاء " sur la pierre blanche إعجاب وتقدير فرويد ، والّذي أشار إليه في العديد من مؤلّفاته، أحبّ أسلوبه الفكاهيّ وحسّه النّقديّ وانتماءه للتّيار السياسيّ . هذا الكتاب لا يتعلّق بكونه كتابا أدبيّا كبيرا ولا بنصّ عميق في الجانب النّفسيّ بل إنّ خصوصيّته تكمن في إمكانيّة الغوص في أحداثه من خلال مراحل زمنيّة متفرّقة وسط الآثار الرّومانيّة واليونانيّة مذكورة وموصوفة بطريقة رومانسيّة مفعمة بالحبّ ، حيث تدور حوارات جمّة بين المؤرّخين والمفكّرين حول مواضيع شتّى كميلاد وتطوّر واندثار الحضارات .

إنّ اختيار فرويد لهذا الكاتب من بين " عشرة كتب جيّدة " يشهد بطريقة واضحة إلى أيّ مدى كان مولعا ومتعلّقا بمدينة روما وبالثّقافة اليونانيّة وبعلم الآثار وعلماء التّاريخ والفلسفة ودراساتهم للثّقافات الإنسانيّة ، وعن انجذابه نحو

---

1 – IBID P 02

*أنتال فرانس(1844_1924):روائي وناقد فرنسي،من رواياته:الزنبقى الحمراء،تاييس،ثورة الملائكة

المغامرة والخيال دون ادّعاء ،حيث وصفها بأنّها رواية " مكتوبة بطريقة إبداعيّة راقيّة ، وبذكاء لا يوصف "[1].

تأثّر فرويد بالكاتب يعقوب بوركهارت Jacol Burckhadt

هناك رسائل لفرويد تثبت تعلّق فرويد بهذه الشّخصيّة العلميّة ، فقد كتب يوما إلى صديقه فلياس معلّقا « لأجل التّسليّة ، أنا بصدد قراءة كتاب حول قصّة الثّقافة اليونانيّة لـ بوركهارت، والّذي فتح آفاقا غير متوقّعة فتفضيلي للأشياء التّاريخيّة في جميع الأشكال الإنسانيّة لم يعرف تنوّعا ».

أمّا في رسالة أخرى فقد وضع على شكل ملاحظة ما يلي « أنا فعلا متعمّق في تاريخ الثّقافة اليونانيّة لصاحبه بوركهارت » ، وكثيرا ما كان يشير إلى هذا الكاتب بالعبارة التّاليّة « إلى شيخنا يعقوب * notre vieux jacol burckhardt » وهو أسلوب يدلّ على الألفة والحماس الّذي شعر به فرويد تجاه هذا الكاتب المتميّز ، كما تبيّن لنا كيف أنّه أدمج قراءاته بإبداعاته .

1 – joelle hullebroeck – l'antiquité classique dans l'ouvre de freud – p 02.

* يعقوب كريستوف بوركهات (1818–1897) : كان مؤرخا للثقافة والفن والتاريخ ، من أهم أعماله " الحضارة في عصر النهضة " بإطاليا 1860.

وقد وجد جريبيش سيميتيس grubrich simitis *ملاحظات أخرى لفرويد حول هذا الكاتب « بالنّسبة لطريقة التصرّف أثناء عمليّة التّأويل ، فالمجهود المبذول بقوّة هو وحدة القادر على الأقل على تحقيق نتيجة ما ، فالإصغاء الصّامت المصحوب بالتّركيز من شأنه أن يوصلنا بعيدا »[1].

* جربريش سميث 1960 ، هو المحلل النفسي الألماني و هو المسؤول عن الطبعات الخاصة بأعمال فرويد كما شارك في تحرير الكتاب السنوي للتحليل النفسي .

. 1 – IBID P 12.

إذ ما تأمّلنا النّقد الأدبيّ الحديث ، فإنّنا نجد الباحثين في التّحليل النّفسيّ يتحدّثون عن أثر فرويد في الأدب و لا يتحدّثون عن أثر الأدب في فرويد ، أو في التّحليل النّفسيّ عامّة ، فالحديث عن أثر فرويد هو المطروح دائما في الأوساط الأدبيّة.

هناك إشارة من النّاقد الأمريكيّ ليونيل تريلنج يقول فيها :« تأثير فرويد في الأدب لم يكن أعظم من تأثير الأدب في فرويد »[1] ، و إذا ما عدنا إلى الأصول الفكريّة الّتي شكّلت فكر فرويد فإنّنا نجد الفنون و الآداب تمارس تأثيرا حقيقيّا على فرويد ؛ فقد كان ميّالا إلى التراجيديا الإغريقيّة و الآداب الألمانيّة فلم يكن فرويد مجرّد طبيب فحسب ، بل كانت دراساته العلميّة لا تنفصل عن دراسات الطّالب الأدبيّ .

كما أتقن لغات عديدة قديمة و حديثة مكّنته من الولوج في العديد من الثّقافات الأدبيّة الواسعة لأنّ نصوصه شبيهة بالنّصوص الأدبيّة إذ نال بها جائزة غوته للأدب. و يكفي أن نتذكّر أنّه قرأ لشكسبير بلغته و هو في الثّامنة من عمره بل و كانت له القدرة على حفظ فقرات كاملة و إلقائها بكلّ سهولة*.

1- ليونيل ترينلج، فرويد و الادب. ص 437 .

* نظرا لاهمية شكسبير في ثقافة فرويد، فقد افردت له فصلا كاملا .

إنّ ثقافة فرويد الأدبيّة كانت له نقطة انطلاق من أجل تأسيس اكتشافاته النّفسيّة ، و لكي ندلّل على حجم هذا التّأثير فإنّ فرويد كان يأخذ جلّ مصطلحاته من الأدب اليونانيّ القديم ، و تعدّ "عقدة أوديب" خير مثال على ذلك. فقد صرّح قائلا :« إنّي أفكّر في عقدة أوديب الّتي سمّيت كذلك لأنّ مغزاها الأساسيّ قد وجد في الأسطورة اليونانيّة المسمّاة بالملك أوديب[1] ».

فقد كانت هذه الأسطورة النّص الأساسيّ الّذي بنى عليه نظريّته النّفسيّة. إذ ذهب بعض الباحثين إلى القول « إنّ عقدة أوديب عند هملت كانت هي المصدر الّذي اغترف منه فرويد فكرته هذه ، بصرف النّظر عمّا إذا كان وعى ذلك أم لا [2]»

فأسطورة أوديب كانت تمثّل حقلا هامّا من حقول دراسات و أبحاث علم النّفس ، بل عدّت نواة الأمراض النّفسيّة ؛ فكثيرا ما كان فرويد يحلّل عددا كبيرا من مؤلّفات شكسبير "كهاملت وماكبت" و دو ستويفسكي و غيرهم كانوا حاضرين تحت ريشته يتناولهم من خلفيّة أدبيّة إذ إنّها «عقدة ضروريّة لفهم تاريخ الإنسانيّة و تطوّر الدّيانات و العقل»[3] ،إنّ جرم أوديب ينقّب في ماضينا ، و يكشف عن دواخلنا المائلة فينا و إن قمعت[4].

1- فرويد ، معالم التحليل النفسي ، ص108 . وينظر : حياتي و التحليل النفسي ص 85 .

2- فاليري ليبين ، مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية ص 83.

3 -Isabelle Martin, Freud et la littérature p 01.

4- فرويد ، تفسير الأحلام ص 278.

وهكذا كانت أسطورة أوديب ميلاد المعالم الأولى للتّحليل النّفسيّ ، كما أنها كانت مصدرا ثرياَ للإنتاج الأدبيَ، إذ إنَ المؤلَفين و الرَوائيَين كثيرا ما استلهموا موضوعاتهم «في المقام الأول من عقدة اوديب و عقدة المحارم ومن صورها المقنعة[1] ». وهذا ما جعل فرويد يعتزّ مفتخرا بهذا الاكتشاف حيث أعلن قائلا : «ويحقّ لي أن أقول إنّه لو لم يكن للتّحليل النّفسيّ إلاّ فخر اكتشاف عقدة أوديب المكبوتة ، لكان ذلك وحده خليقا بأن ينظّمه في عداد أثمن ما كسب الجنس البشريّ حديثا[2]».

و يطيب لي أن اذكر هنا أنّ فرويد في احتفاله بسنّه الخمسين ، أهدى إليه أصدقاؤه ميداليّة تمثّل أوديبا ملوّحا بالكأس[3]. وهذا يدلّ على التّأثير الكبير لهذه الأسطورة في حياة أبي التّحليل النّفسيّ.

و قد استخدم فرويد في مراسلاته مع صديقه "فليس" عبارات لاتينيّة لعلّ من أهمّها "ليبيدو" Libido « فاقتراضه لهذا المصطلح من لغة ميّتة إن صحّ التّعبير ليس عشوائيّا بل يحيله مباشرة إلى والدة أوديب صاحبة الوجه الأسطوريّ »[4].

1- فرويد،محاضرات تمهيدية في التحليل النَفسي ص 373.الموجز في التحليل النفسي ص 373 .

2- فرويد،الموجز في التحليل النفسي ص 66 و ينظرمحاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ص 364.

3 -Joelle hullebroeck – l'antiquité classique dans l'oeuvre de freud, p02.

4 -Ernest Jones , Freud et Hamlet p34.

كما أنّ عقدة الخصاء الّتي ترددّت في مؤلّفاته و الّتي تنتج تحت تهديد الأمّ لطفلها بقطع قضيبه فيصاب بها. قد استلمها أيضا من أسطورة أوديب، وهذا ما تحدّث عنه قائلا :« الخصاء موجود أيضا في أسطورة اوديب ، فليس العمى الّذي عاقب أوديب نفسه به بعد اكتشاف جريمته إلاّ بديلا رمزيّا للخصاء كما تدلّ عليه شواهد الأحلام[1]».

كما أنّ "الأنا النّرجسيّ " الّذي تحدّث عنه فرويد في مؤلّفاته قد استوحاه من أسطورة الفتى اليونانيّ الخارق الجمال الّذي وقع أسير صورته المنعكسة في ماء النّبع ، فظلّ يحدّق فيها أيّاما و لياليّا حتّى انغرست رجلاه في ضفّة النّهر، وصار شعره الأصفر أطول، لقد صار زهرة النّرسيس "النّرجس" الّتي تنمو على ضفاف الأنهار. وهذا ما ترجمه فرويد في نظريّته إذ قال :« يتّخذ الأنا نفسه موضوعا له. و يتصرّف كما لو كان يعشق نفسه. من أجل هذا استعرنا لهذه الظّاهرة كلمة النّرجسيّة من الأسطوة اليّونانيّة[2]»

وفي حديث فرويد عن الغرائز افترض أنّ هناك نوعين من الغرائز يتباين كلّ منهما عن الآخر تباينا جوهريّا : غرائز الحبّ و أسماها "ايروس" Eros، وغرائز العدوان الّتي تهدف إلى الهدم و التّدمير و اسماها "ثاناتوس"

1- فرويد،الموجز في التحليل النفسي ص 92/و ينظر ما فوق مبدا اللذة ص 87 .

2- فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة ص 92-93/و ينظر: معالم التحليل النفسي ص 111.

Thanatos[1]. وهما غريزتان تعود تسميتهما إلى الأساطير اليونانيّة المعروفة إيروس : إله الحب و الرّغبة و الجنس' وثاناتوس : إله يجسّد الدّمار و الموت .

بل إنّه كثيرا ما لجأ إلى الأدب ليثبت نرجسيّة الأنا و الإغراق في تقدير القيمة الجنسيّة للموضوع و ذلك من خلال الحوار الطّويل الّذي دار بين زليخة وحبيبها في رواية غوته "الدّيوان الشّرقيّ" [2].

وهكذا وجد فرويد مصطلحاته النّفسيّة في الأشكال الأدبيّة المتنوّعة كالدراما الأوديبيّة ، إضافة إلى إشكاليّة الخصيّ la castrationالمتعلّقة بالمشهد البدائيّ و التّحريض الجنسيّ les meandres de la séduction ، و الّتي أطلق عليها اسم التّخييلات الأصليّة الموجودة في قلب الإنتاجات الفنّية تماما كما هي موجودة في قلب الأحلام و الأعراض المرضيّة ، و من ثمّ أدرك فرويد مدى تأثير المؤلفات الأدبيّة في النّفس الإنسانيّة ، بل إنّها شرط من شروطها[3].

إنَ مصطلح " الشّعور بالذّنب" الّذي نادى به فرويد في كتبه ، و بالأخصّ في مؤلّفه "الحب و الحرب و الحضارة و الموت" هو مصطلح تزخر به الكتب الّتي تدّعي النّعرة الأدبية[4]. فقد خرج فرويد بنتيجة نهائيّة إثر تحليله لهذا الأصل

1- المصدر نفسه، ص 93/ و ينظر: محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ص 463 .

2- ينظر للحوار : فرويد، محاضرات تمهيديَة في الَتحليل النفسَي ص 463.

3-Isabelle Martin, Freud et la littérature p 02.

4- فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة، ص 59 .

الشّعوريّ إلى أنّ الشّعور بالذنب عند الإنسان يعود « إلى عقدة أوديب التي اكتسبها يوم أن اجتمع الأبناء على الأب و قتلوه و كوّنوا فيما بينهم اتَحاد الإخوة و يومها لم يكتب الأبناء عدوانيتهم لكنَهم أخرجوها و مارسوها[1]».

بل إننا نجده لا يرى اللاشعور مجرد لغة ، بل هو شيء من الدراما، كلام على منصَة المسرح يجسَد مشاهد و أحداث بين حدود الاعتراف و الصَمت فأوديب هو عبارة عن تراجيديا؛ دراما؛ بلمسات لا شعورية خاصة [2].

وحين احتفل فرويد بعيد ميلاده السبعين و أعلن أنَه مكتشف اللَاوعيَ « أنكر هذا اللّقب وصحّح الكلام بقوله : إنّ الشّعراء والفلاسفة قبلي اكتشفوا اللاّوعي وما اكتشفته هو المنهج العلميّ لدراسة الوعي » [3].

إن مصطلح التّطهير Katharsis الّذي نادى به الفيلسوف اليونانيّ أرسطو في الفصل السادس من كتابه "فنّ الشعر" و الّذي رأى فيه أن المأساة تطهّر المتفرّجين من الانفعالات و العواطف المتطرَفة ؛ إذ تثير فيهم عاطفة الشّفقة على الأبطال النّبلاء الّذين حلّت بهم المأساة ، كما تثير فيهم أيضا عاطفة الخوف

1- فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ص 91-92 .

2-Ernest Jones, oedipe et Hamlet p 19.

3- ليونيل تريلنج، فرويد و الادب، ص 437.

والفزع من أن يتعرَضوا إلى المصير نفسه « فالتَجسيد المسرحيَ يزيد من حدّة التّطهّر فيتدّفق الانفعال والهيجان والرّعب والبؤس والخوف والارتعاش [1]».

ومن ثمّ اقتبس فرويد هذا الأسلوب في بداية تكوين نظريّتة النّفسيّة في علاج مرضاه ، وكان لا يزال يؤمن أنّ الحالات العصبيّة ناجمة عن أحداث عايشها المرض ، ثم عدل عن فكرته وأرجعها إلى صراع الدّوافع الغريزيّة ، ليصل إلى أسلوب التّداعي الحرّ. وبهذا نجد أنّ دراسات فرويد المتعلقة بالهستيريا تحوي العديد من العبارات المستوحاة من مؤلّفات أرسطو[2].

إنّ حديث فرويد عن خبرات الطّفولة المنسيّة لم يكن السبّاق لها ، بل كان الشّاعر "هوفمان" هو من لامس أثر الطّفولة في الإنسان قبل أن يصل إليها أبو التّحليل النّفسيّ ، ولم يخف فرويد هذا ، بل اعترف قائلا مثمّنا لذلك بكلّ غبطة وسرور « أنّ ثمّة كاتبا واسع المخيّلة ، جريئها ، على حدّ ما هو متوقّع من شاعر قد اكتشف قبلي هذا الاكتشاف المذهل ، فقد كان إ. ث. أهوفمان يعزو في كتاباته بالشّخصيّات الخياليّة إلى تنوّع الصّور والانطباعات الّتي يتلقّاها أثناء رحلة دامت أسابيع عدّة في عربة للبريد يوم كان ما يزال رضيعا يمصّ ثدي أمّه»[3]

1 –Joelle Hulbebroeck , lantiquité classique dans l oeuvre p9.

2–Ibid , p 09.

3– فرويد، موسى و التوحيد ،ت:جورج طرابلشي ،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان ،ط4 ،1986. ص 174–175/ و ينظر حياتي و التحليل النفسي ص 53 .

وهكذا، يتجلّى لنا بوضوح تامّ أنّ فرويد قد بنى العديد من الكلمات المفتاحيّة في التّحليل النّفسيّ على مفاهيم يونانية قديمة كما ذكرنا سابقا : اللّيبيدو، التّطهير، عقدة أوديب، النّرجسيّة، إيروس، ثاناتوس، و هذا ما أكّده ج .وولف Gedo Wolf سنة 1970 حين قال: « يبدو أنّ فكرة الاستعارة بالنسبة لفرويد لا تسهّل له فقط سبل التّواصل بطريقة واضحة و بإحساس جماليّ، بل كانت مرحلة أساسيّة في تطلّعه، لخلق مفاهيم متعدّدة في التّحليل النّفسيّ[1]»

حتّى إنّ ا سم نظريّته الجديدة " التّحليل النّفسيّ " psycho-analyse قد اختير على إثر تأثّره حتما بكتاب كلاسيكيّ "روح" لإروين رود Psyche de Erwine Rohd و هو كتاب يعدّ بمثابة أوّل دراسة متعلّقة بالفكر اليونانيّ فاقتبس فرويد منه هذه الكلمة نفس " psyche " . إنّ اختيار روهد و فرويد لكلمة psyche ليفسّر مدى تفضيلهما للتّقليد الأدبيّ الرّومانسيّ ذي الأصول اليونانيّة على غرار اللاّتينية " alma-monte" أو الجرمانية "seele" الّتي تستعمل بكثرة في علم النّفس الدّيناميكيّ[2] .

1-Ibid p 04.

2-Joelle Hulbebroeck , lantiquité classique dans l'oeuvre ,p4-5 .

إنّ فرويد لم ينكر تأثّره بالأدباء و الشّعراء و بتتلمذه على أيديهم ، بل صدع به منعما عليهم بكثير من الألقاب. « و قد سئل يوما عن أساتذته فأشار بيديه إلى رفوف مكتبته حيث اصطفّت بروائع الآداب العالميّة[1]».

و قد كتب فرويد رسالة بتاريخ 12 جانفي 1906 إلى الرّوائي النّمساويّ آرتور شنيتزلر *Arthur Schnitzler يقول فيها « و لقد تساءلت دوما وباستغراب كبير من أين تأتون بمعارف و أجوبة لمشاكل مجهولة و خفيّة ، والتّي لم أحصل عليها إلاّ من خلال جهد عسير من الأبحاث !!»[2] ، كما أنّه صرّح بعد لقائه بالأديب الألمانيّ توماس مان Thomas Mann* قائلا « يعلم الشّعراء بأشياء كثيرة ، و الّتي لا يمكن حتى نحن أن نعرفها أو ندركها [3]»

و هكذا ، تحدّث فرويد عن الفنّانين و خاصّة الكتّاب بشيء من الإجلال والإعجاب « إنّه يتحدّث عن رجال الأدب لأنهم فهموا الدّور الّذي تلعبه في الحياة

1-عبد الله بن حلي: الفكر الفرويدي و أثره في النقد العربي ص70 .

* ارتور شنيتزلر (1862-1931): مؤلف مسرحي و روائي نمساوي، اثار اهتمام النقاد بتمثيليته الأولى كما تتميز مؤلفاته باسلوبها اللامع و عمقها في التحليل و لا سيما الحالات المرضية. من مسيراته: الطريق الموحشة 1903، الارض الفسيحة 1911، و الأستاذ برنهاري 1919 وهي ماساة طبيب يهودي.

2-Joelle Hullebroeck ,l'antiqueté classique dans l'œuvre de Freud p01.

3-Ibid ,p 01.

*توماس مان (1875-1955): هو اديب الماني، تحصل على جائزة نوبل في الاداب سنة 1929، من اشهر رواياته "موت في البندقية".

الـدّوافع الغريزيّـة المخبـوءة ، و باعتبـارهم روّاد العلـم الّـذي ابتدعـه »[1] ، فإعجـاب فرويد بهؤلاء الكتّاب يتجلّى من خـلال عبقريّتهم فـي معرفـة خبايـا النّفس البشـريّة وإدراكها، لدرجة أنّه رآهم مثاله الشّخصيّ إذ أثّروا فيه بشكل بالغ[2] .

بـل إنّ فـي رسـالته الّتـي بعـث بهـا إلـى شـنيتزلر فـي 14 مـاي 1922 تكشف بشكل صريح عن هذا التّأثّر حيث قال « سأقول لكم أمرا يجب أن تحتفظوا به لأنفسكم و لا تبوحوا به لأحد ، لأيّ كان سواء لصديق أو غريب ، هنـاك سؤال يحيّرني و يقلقني هو : لماذا لم أحاول يوما محادثتكم على مدار كلّ هذه السنوات ؟ لـم أبحـث يومـا عـن هـذا ؟ . الجـواب هـو أنّنـي تفـاديتكم خوفـا مـن أن ألتقـي بشخصيّتي الثّانيّة [3]».

إنّ هـذا التّقـدير للكتّـاب و الاعتـراف بفضـلهم علـى فرويـد و علـى نظريّـة التّحليـل النّفسـيّ قـد قوبـل أيضـا بميـل كثيـر وولـع كبيـر تجـاه التّحليـل النّفسـيّ مـن طرف الكتّاب المعاصرين ؛ حيث أمدّ هذا العلم الأدب برؤى جديدة أغنت الفنّان ووسّعت آفاقه و عمّقت رؤاه الفنّية .

1- ليونيل ترينلج ، فرويد و الأدب ،ص 446.

2- Joelle Hullebroeck , l’antiquité classique dans l’œuvre de freud p 03.

3-Ibid,p 03.

و هذا ما نفهمه من خلال رسالة له بتاريخ 12 جانفي 1906 قائلا فيها : « يمكنكم أن تعرفوا مدى فرحي و فخري ، أن أعلم أنّ كتاباتي هي مصدر إلهام لكم »[1] .

و قد أرسل اليه الكاتب الألمانيّ أرنولد زويخ* برسالة تضمّنت ما يلي : « تعلمون جيّدا أنّكم أنتم من أعطيتم الحياة للأدب الفييني ّ ، و أثبتم أنّ للرّوح البشريّة سبع طبقات ، و الّتي لا يصفها الكتّاب إلاّ من خلال تلوين سقفها بألوان بديعة ، و لكنّكم كنتم أكثر منطقا و معرفة بذلك [2]».

التفت فرويد إلى الأدب لأنّه وجد فيه ما يثبت صحّة نظريّاته النّفسيّة إذ رأى أنّ التّحليل النّفسيّ له صلة وطيدة بكثير من العلوم المختلفة « كعلم الأساطير وفقه اللّغة و الأدب الشّعبيّ و سيكولوجيّة الشّعوب و علم الدّيانات و غير ذلك من العلوم »[3] أمّا الأمراض النّفسيّة فلا صلة لها بالفنون و الآداب ، بل تعدّ بابا من أبواب الطّب[4] .

1-Ibid ,p 04.

*رنولد زويخ، كاتب الماني (1968-1987)، من مؤلفاته الشهيرة حالة الضابط جريشا الذي به كان سبب تعرفه على فرويد، فخلقت بينهما صداقة وطيدة.

2-Ibid ,p04.

3- فرويد، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ص 180.

4- المصدر نفسه ص 431 / و ينظر: حياتي و التحليل النفسي ص 95.

لهذا تعتبر ثقافة فرويد الأدبيّة خير عون له على تقويّة نظرياّته النّفسيّة فقد لجأ إلى الشّعر لتأويل جلّ الدّلالات الرّمزيّة في الأحلام ، و إلى مسرحيّة "والنشتين" لشيلر لتحليل القصد اللاّشعوريّ للفلتة ، و إلى الدّيوان الشّرقيّ لجوته لتفسير نماذج من النّرجسيّة[1] ، و هذا ما سنفصّل فيه الآن بأمثلة و شواهد تثبت استشهاد فرويد بالخطاب الأدبيّ لتأكيد ماتوصّل إليه من اكتشافات.

إذا ما حملنا كتاب فرويد الشّهير " تفسير الأحلام " فإنّنا نجد أوّل صفحة تتصدّر بيتا شعريّا مستوحى من ملحمة الشّاعر اللاّتيني فرجيل Virgile « لئن لم أثن السّماوات حرّكت الآخرون * » . لقد استخدم فرويد هذا البيت بالذّات من الإنياذة ليدعو القارئ إلى الولوج إلى عالم آخر ، عالم مجهول مخادع يتلاعب بالشّعور بالرّوح بالفؤاد أثناء الحلم ، إنّه العالم السّفليّ للاّواعي اللاّمنتظم المظلم . و في خاتمة الكتاب يذكر فرويد هذا البيت من جديد قبل أن يقول مقولته الشّهيرة المتمثّلة فيما يلي :« إنّ تأويل الأحلام هو الطّريق الملكيّ المؤدّي إلى معرفة اللاّشعور في الحياة النّفسيّة [2]* » .

1- عبد الله بن حلي: الفكر الفرويدي و اثره في التراث العربي ص 69_ 70.

2-JoelleHullebroeck, l'antiquité classique p 13.

*بيت من ملحمة الشاعر اللاتيني فرجيل عن وقائع اينياس (الكتاب السابع، السطر 213)، حيث يرد على لسان الاله يونون إذ تعلن عزمها على أن تفسد بكل ما وسعت خطة اينياس في الفرار بكل الطرواديين المهزومين و تأسيس مملكة جديدة بهم في أرض ايطاليا. فهو يفيد استتباب العزم على بلوغ القصد من كل سيل. أراد فرويد أن يمثل به ما تبذله الرغبات اللاشعورية من الجهد. و الآخرون نهر يعبره الموتى في أساطير اليونان عند توجههم إلى الدار السفلى، ثم صار يطلق على الجحيم كافة بالهته و أهليه" ينظر فرويد تفسير الأحلام ص 29 .

كما التمس فرويد في لغة الحلم أشياء شبيهة بلغة البلاغة فالتّرميز والنّقل و الإبدال عمليّات متعلّقة بالحلم هي نفسها الموجودة في الصّور البيانيّة والمحسّنات اللّفظيّة . و لقد أكّد جاكسبون *jakosbon على هذا التّقارب ما بين الميكانيزمات اللاّواعية الّتي نظّرها فرويد و بين الصّور البلاغيّة الّتي تعدّ أساس كلّ لغة خاصّة في الإبداعات الأدبيّة و الشّعريّة[1].

و كثيرا ما كان فرويد يستخدم الاستعارات و الكنايات من الشّعر والنّصوص اللاّتينيّة القديمة و ذلك لدفع القارئ إلى الإبحار بعيدا ، فيحرّك فيه ذاتيّته أكثر منه موضوعيّته ، و قد راجع فرويد و بعناية فائقة نصوص كلّ من أرسطو سقراط ، أفلاطون ، هيروقيلوس ، شيشرون ، هيرودوت ؛ فالتّنظيرات القديمة للأحلام كانت أقرب إليه من الفرضيّات العلميّة البحتة ، إذ إنّه لا يبحث عن النّظريّات العلميّة المنطقيّة فحسب ، بل عن تاريخ بشريّة بأكملها تتناغم مع ما يدعو إليه من أنّ لكلّ حلم معناه و مغزاه ، و أنّ كلّ حلم تنتجه روح ، قابل للتّفسير لا محالة[2].

---

*أستاذ في الأدب المقارن بجامعة واشنطن، درس الفلسفة بفرنسا لما هاجر إلى و.م.ا ألف العديد من الكتب في تاريخ علم النفس و التحليل النفسي، شارك في كتابة الأسود في التحليل النفسي 200جاكبسون M- Borck- Jacobson (1951).

1 -Isabelle Martin, Freud et la littérature p 02.

2 -JoelleHuelberoeck l'antiquité classique dans l'œuvre de freud . p 13.

و في حديث فرويد عن العمليّات النّفسيّة الّتي تخفّف من ضغط الحياة ومتاعبها ، وجد أنّ المضامين الخياليّة اللاّواعيّة الّتي يجسّدها الحلم قد تناولتها الانتاجات الأدبيّة و الفنيّة ، إنّها المضامين الّتي وجدها في أحلامه و أحلام مرضاه ، وهذا ماجعل النّصوص و الأساطير تجد هذا الرّواج الخالد لأنّها أيقونة كلّ واحد منا [1].

وكثيرا ما كان يفسّر أحلام المرضى بالرّجوع إلى نصوص وروايات أدبيّة [2]. ولربّما هذه الفقرة خير دليل على أنّ فرويد كان يستعين بالخطابات الأدبيّة في تفسير أحلام من يعالجهم حيث يقول :

« و لقد ذكّرتني تلك الفقرة من الحلم الّتي يبدأ فيها الصّعود صعبا ثمّ يسهل – عند نهاية المرتقى . ذكّرتني و الحالم يروي حلمه بالمقدّمة الذّائعة المنقطعة النّظير الّتي يستهلّ بها الفونس ددويه راوية "سافو".. ففي الحلم يبدأ السّير صعبا ثمّ يسهل من بعد ، بينما يقوم كلّ مغزى الرّمز الرّوائيّ في كون ما كان سهلا في البداية قد صار في النّهاية عبئا ثقيلا »[3]

---

1 – Isabelle Martin, Freud et la littérature p 01 .

2 – ينظر: فرويد تفسير الاحلام : ابيات لجوته ص 170–171 ، حلم فرويد بالورد فسره بمقطع لشكسبير ص 231–232 فسر الحلم باسطورة ص 600 (حلم المشهد المسرحي ص 486– حلم الفتاة الذي فسره حسب رواية شكسبير ص 161، وكذلك ينظر ص 231 (حلم فرويد بالورد فسره بمقطع لشكسبير).

3–المصدر السابق ،299.

رأى فرويد أنّ طرائق التّصوير في الحلم كثيرة كالشّعر« و لن يدهشنا أن نرى .. أنّ الشّعر المقفّى يستبيح لنفسه حرّية مماثلة »[1]. ففي حديث فرويد عن التّقابل في الحلم استدلّ على ذلك بفقرة « تترك في النّفس أثرا عميقا ، في الخطاب الّذي يلقيه بروتوس لكي يبرّر فعله في "يوليوس قيصر" لشكسبير: أحبّني قيصر ، فعليه أبكي ، و كان مجدودا ، فله أسر ، و كان مقداما ، فإيّاه أبجّل لكنّه كان طموحا ، لهذا قتلته »[2].

كما وجد أنّ بعض الأحلام تتسلسل في أفكارها و أحداثها تذكّر بها قول الشّاعر فاوست حين قال عن عمل النّساج :

في دفعة القدم يموج ألف خيط

و ينتفض البكر في كرّ وفرّ

و الخيوط تنساب لا تنظرها

كلّ ضربة تحزم ألف شكل[3]

بل رأى أنّ للأحلام تفكّكا في وظائفها العقليّة فقد تلبّس ثوب الجنون كمنهج لا يعدو أن يكون قناعا كما لبس هاملت الأمير ثوب الجنون للتّمويه و الإخفاء حيث قال فرويد« ما يسلك الحلم في الحقيقة إلاّ كما يسلك في الرّواية الأمير

1-المصدر نفسه، ص 408.

2- المصدر نفسه ص 424.

3- المصدر السابق ص 296.

وهو يلجأ إلى التّقنّع بثوب من الجنون ، حتّى ليسعنا أن نقول عن الحلم ما يقوله هاملت عن نفسه و هو يخفي حقيقة حاله تحت رداء من التّكيت والاستجمام " ولست بالمجنون إلاّ والرّيح مشملة ، شمالا بغرب ، فإن أجنبت عرفت الباز من البلسون "[1] ».

كما لجأ إلى المسرحيّة نفسها ليؤكّد لنا أنّ بعض الأفكار ليست كفيلة وحدها بأن تستثير حلما ، إذ شبّهها بالمشهد الّذي قال فيه هاملت : « و لا حاجة بنا يا سيّدي ، إلى شبح يخرج من قبره لكي يأتينا بهذا الخبر[2] » .

كما وجد فرويد في قصّة "مكبث" لشكسبير ما يؤكّد دراسته ، في أنّ الحلم لا يصوّر لنا المنبّهات الدّاخليّة منها و الخارجيّة كما هي عليه ، بل يطرأ عليها التّحويل و التّبديل و التّعديل ،أو يدمجها الحلم في ظروف خاصة ، حيث يستشهد في ذلك قائلا :

« قصة "مكبث " لشكسبير مثلا ، مأساة كتبت في ظرف خاصّ هو اعتلاء ملك كان أوّل من جمع بين تيجان ممالك ثلاث ، لكن هل يستوعب هذا الظّرف التّاريخيّ كلّ مضمون المأساة ، أو يفسّر ما تنطوي عليه من فخامة و جلال وما تشتمل عليه من ألغاز و معميّات ؟ فربما كانت المنبّهات الدّاخليّة أو الخارجيّة

1- المصدر السابق، ص 443-444 .

2- المصدر نفسه ، ص 197.

الّتي تؤثّر في النّائم شبيهة بهذا الأمر من بعض الوجوه ، إذ تكون بمثابة الظّرف الّذي يستثير الحلم ليس غير ، فلا تبصّرنا بشيء عن طبيعته الحقّة وجوهره[1] ».

و في حديث فرويد عن أهميّة الأحلام و ما تحمله من بشائر أو نذر ضرب لنا مثلا عن حلم الإسكندر الأكبر ، إذ كان يحاول فتح مدينة صور tyre لكنّ أهلها قاوموه مقاومة عنيفة ، فعزم على رفع الحصار عنها ، غير أنّه ذات ليلة رأى مسخا satyr يرقص رقصات النّصر ، فقصّ رؤياه على معبّريه فبشّروه بالنّصر، حينها عزم على الهجوم و انتصر[2] .

بل إنّه وجد أنّ بعض الأحلام قد تستعمل في مناهجها في تصوير أفكارها إلى اللاّمعقوليّة و السّخريّة لجلب الضّحك « و هكذا يسفّه عمل الحلم الفكرة المعطاة له على أنّها فكرة مضحكة بأن يخلق هو شيئا مضحكا في صددها . ولقد نهج هينه نهجا شبيها بذلك حين أراد أن يسخر من الأشعار الغثّة الّتي كان ينظمها ملك باقاريا ، فقد أضاع سخريّته في شعر أغثّ منها و أردأ :

السيّد لود فيج شاعر فحل ، من الفحول
ما أن ينشد حتّى يخرّ أبوللو على ركبتيه
ساجدا أمامه ، راجيا ، متضرّعا إليه :
كفى و إلاّ أصابني مسّ من الجنون [3]»

1- فرويد، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، ص 92 .
2- المصدر نفسه ص 79.
3- فرويد، تفسير الأحلام ص 434.

كما وجد فرويد في حلم جوكستا من مسرحيّة أوديب ، أنّ مضاجعة الأمّ هو حلم يشترك فيه كل البشر فقولها « كم من مائة قبلك ضاجع في الحلم أمه ولكن يسهل عبء العيش لمن لم يلق إلى ذلك بالا[1]» إذ إنّ الكثير من النّاس يحلمون بمضاجعة أمّهاتهم ، فيتعّجبون و يستنكفون ، و هي أحلام تعدّ تكملة للجزء المأساوي ألا وهو موت الأب و هنا يستشهد فرويد قائلا :« فقصّة الملك أوديب استجابة من المخيّلة إلى هذين الحلمين النّمطيين جميعا ، و كما أنّ هذه الأحلام تضمّ الأسطورة في طيّاتها الارتياع و إيقاع العقاب بالنّفس [2]» .

بل إنّه صنّف قسما من الأحلام و نسبها إلى هذه المسرحيّة فأضحت تدعى بالأحلام الأوديبيّة و يفسّر دلالاتها الرّمزية المقنّعة ، فقد استشهد في ذلك بحلم بوليوس قيصر الّذي رأى أنّه يجامع أمّه ، ففسّرت له أنّه سيمتلك الأرض ، الأرض الأمّ. و غيرها من الأحلام الأدبيّة الّتي فسّرت بهذا المنحى [3].

و في حديث فرويد عن الأحلام النّمطيّة ، و جد صديق فرويد في الملحمة الشّعريّة اليونانيّة فقرة وضعها هوميروس في " الأوديسا " تتحدّث تماما عن الأحلام النّمطيّة الّتي أوردها فرويد في مؤلّفه تفسير الأحلام ، حيث يقول صاحب المؤلّف نفسه :

1- أنظر مسرحية أوديب ملكا. السطر: 982 و ما بعده .

2- فرويد، تفسير الأحلام ، ص 279.

3 - المصدر نفسه ، ص402.

« لقد نبّهني صديق إلى فقرة خطّها جوتفريد كيللر في " هاينريخ اليانع " جاء فيها : و لست أودّ لك يا عزيزي أن تعلم أبدا علم المتّعظ بنفسه ماحواه من صدق لاذع فريد ذلك الموقف من الأوديسا ، حيث يظهر أوليس عاريا ، مغطّى أمام أعين نوسيكا وقريناتها (...) فما استمدّ هوميرو صفحاته هاته إلاّ من أعمق أعماق الوجود الإنسانيّ الخال[1] » .

كما عثر فرويد إثر حديثه عن الأحلام و أنّ كلّ حلم هو تحقيق لرغبة مكبوتة على فقرة في الأدب تؤكّد صدق ما أدلى به حيث قال :

« و لست أجد في أدب الموضوع شيئا يقرب من رأيي في الحلم قرب تلك الفقرة الّتي تجيء في مقالة ج.سوللي « الحلم من حيث هو كشف هكذا قد يتبيّن أنّ الأحلام ، مهما يكن من أمر ليست كلّها ترهات ، على ماذهب إليه بعض الثّقات من أمثال تشوسر و شكيبير و ميلتون : فالتّآليف المختلطة النّاجمة من مخيّلتنا تملك مغزى و تنقل معرفة جديدة ، فنقش الحلم كخطاب كتب بالشّفرة لا تكاد تنعم النّظر إليه إلاّ فقد طابع الطلسمة الّذي لاح له للوهلة الأولى و لبس ثوب الرّسالة الجادّة المعقولة . أو إذا أردت أن تغيّر التّشبيه قليلا، فقد نقول إنّ مثل الحلم كمثل مخطوط قديم مسح ليسطّر في محلّه كلام لاوزن له و لكنّنا نستطيع مع ذلك أن نتبيّن من وراء أحرف هذا الكلام أثرا من إفادة قديمة ثمينة[2] »

1- المصدر السابق ، ص 263-264

2- المصدر نفسه ، ص 160.

و هكذا نجد فرويد في حديثه عن الأحلام كثيرا ما يلجأ إلى النّصوص والأساطير و الملاحم الأدبيّة ليثبت صحّة تصوّراته ، لكن ما آلمه أنّه لم يجد بين رجال الأدب من يؤيّد نظريّته في أنّ للحلم معنى و أنّه قابل للتأويل ، إذ قال :« فرجال العلم ، و معهم غالبيّة أهل الأدب ، تفتر ثغورهم عن ابتسامة ساخرة إذا ما عرض عليهم أحدهم تأويل حلم من الأحلام[1] »

بل إنّ أبا التّحليل النّفسيّ تمنّى لو لم يتّخذ الشّعراء هذا الموقف الحياديّ تجاه فكرة أنّ للأحلام معاني و دلالات ، إذ صرّح قائلا :« فليت الشّاعر أفصح بمزيد من الجلاء عن إيمانه بطبيعة الحلم الحبلى بالمعاني ! و بالفعل ، لن يعجز النّقد ،فيما لو لزم جانب الصّرامة ، عن الاعتراض بأنّ الرّوائيّين و الشّعراء لم ينتهوا إلى قرار قاطع في تأييد الدّلالة النّفسيّة للحلم أو في إنكارها ، بل اكتفوا بأن أبانوا لنا كيف تختلج النّفس النّائمة استجابة للانفعالات الّتي تلبث فيها فعّالة كبقايا من حياة النّهار [2]».

و في حديث فرويد عن الرّموز و دلالاتها ، رأى أنّ الرّمزيّة لا تقتصر على الأحلام فحسب ، بل إنّها معرفة نستمدّها من مصادر مختلفة ، فهي بعينها

1- فرويد، الهذيان و الأحلام في الفن، ص 05.

2- المصدر نفسه، ص 07.

الّتي« تستخدم في الأساطير و الخرافات و في الأقوال و الأغاني الشعبية، و في اللّغة الدّارجة ، و أخيلة الشّعراء[1]» .

وفي دراسة فرويد للرّموز وجد أنّ الرّموز المختلفة تنوب عن أشياء معيّنة تدلّ عليها ، و كثيرا ماكان يبرهن على صحّة ذلك بنصوص و فقرات من التّراث الأدبيّ إذ يقول بنفسه :« و في أمثال هذه الحالات كنّا نرحّب على التّخصيص بكلّ تأييد نظفر به من فقه اللّغة و الأدب الشّعبيّ و أساطير الأوّلين[2] » .

لقد لجأ فرويد كما ذكرنا . إلى المؤلّفات الأدبيّة لفكّ الرّموز و تفسيرها وسنتقدم جملة من الأمثلة تثبت ذلك ، فقد جعل فرويد . مثلا . من الفرن رمزا لرحم المرأة ، مستمدّا ذلك من أسطورة يونانيّة تتحدّث أنّ رجلا أدّت به غيرته إلى قتل زوجته و الّتي كان يحبّها حبّا جما ، فظلّ يناشد طيفها أن ينبّئه بشيء عنها فحضرت الزّوجة و أخبرته أنّه « كان يضع خبزه في فرن بارد » فعبّرت بصورة مقنّعة عن حالة لا يدركها أحد غيره[3] .

كما أنّ فرويد اعتبر أنّ« ماجاء بالشّعر و الأساطير ليبيح لنا أن نعتبر المدن و القصور و القلاع و الحصون رموزا أخرى إلى النساء»[4] ، بل إنّه استقى

1- فرويد، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ص 168.
2- فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة ، ص 20.
3- فرويد، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، ص 173.
4- المصدر السابق، ص 174.

دلالة الرّمز التّناسليّ للرّجل من الأدب و شعر الشّعراء ، و في هذا يقول أيضا « أمّا فيما يتعلّق بالرّموز الّتي تشير إلى العضو التّناسليّ للرّجل ، فليس من بينها رمز واحد لا تعبر عنه اللّغة الدّارجة في صورة هزليّة أو عبارة مبتذلة ، أو في صيغة شعريّة كما كان يفعل القدامى من الشّعراء المأثورين[1]

كما لجأ أيضا إلى الأغاني و المنظومات الشّعريّة لتفسير العديد من الرّموز؛ فقد عبّر عن رمزية " الجمرة " بالحبّ المستتر، آخذا هذا التّأويل الرّمزيّ من أغنية شعبّية ألمانية جاء فيها :

مـــــامن نـــــار و لا مـــــن جمـــــر

يتّقـــــــــــــد و يستـــــــــــــعر

مثـــــــــل حـــــــــبّ مســـــــــتتر

لا يعلمـــــــــــــــه أحـــــــــــــــد[2]

كما فسّر" غصن الزّهر " بالطّهارة الجنسيّة ، مستشهدا في ذلك بقصّة لغوته أورد فيها أزهارالعذراء " وهي قصّة منظومة " خيانة الطحانة" تحكي أنّ رجلا

1- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- فرويد، تفسير الأحلام ، ص 351.

قضى ليلة غرام برفقة طحّانة جميلة ، و لما أُقبل الصّباح فاجأه أهلها بمكيدة منها يسألوه الحساب عن " أزهار العذراء"[1]

وقد عاد فرويد إلى أسطورة أوديب ليفسّر بعض الدّلالات الرّمزيّة، إذ وجد رمزية "فقأ العينين" بديل للخصاء في الأحلام الأوديبيّة، حيث قال : « وإنّ فقأ العينيين في أسطورة أوديب –كما في غيرها– لهو بديل عن الخصاء [2]»، كما لمس تمثيل الخصاء أيضا في الآداب الشّعبيّة وذلك بسقوط سنّه أوباقتلاعها ،إذ يقول إننا« نجد في الآداب الشّعبيّة نظيرا لهذا التّمثيل الّذي لا يستطيع أن يعرفه إلاّ قليل جدّا من الحالمين[3] » .

كما اعتبر فرويد أنّ "الرّحيل" رمز دال على الموت، وقد وجد هذا عند أهل الشّعر حيث قال:« كذلك نرى شعراء يصطنعون هذا الرّمز نفسه حين يتكلّمون عن الدّار الآخرة كأنّها منطقة مجهولة لايعود منها سائح أبدا[4] » .

وفي حديث فرويد عن فلتات اللّسان وزلاّت القلم ، اعترف أنّ الشّعراء هم من علّموه هذا العلم أكثر من اللّغويّين والأطبّاء حيث يقول: « ولا تعجبوا إن ذكرت

1– المصدر نفسه ص 329.

2– المصدر السابق، ص 402 .

3–فرويد: محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، ص 176.

4–المصدر نفسه،ص 171.

لكم أنّ الشّعراء يعلّموننا عن فلتات اللّسان أكثر ممّا يعلّمنا فقهاء اللّغة وأطبّاء العقول [1]» .

إذ إنّ الشّعراء كثيرا ما يستعملون هذه الهفوات كطريقة من طرائق التّعبير الفنّيّ « وفي هذا وحده ما يدلّ على أنّهم يرون أنّ للهفوة –كفلتة اللّسان مثلا – مغزى ، لأنّهم يصوغونها على قصد، ومن المستبعد أن يزلّ قلم الشّاعر عرضا وهو يكتب روايته، فيدع هذه الزّلة تنطلق فلتة على لسان الشّخصيّة الّتي يصوّرها بل يريد الشّاعر أن يستغلّ الهفوة للإشارة إلي شيء لايشقّ علينا أن نفطن إليه كالإشارة إلى أنّ الشّخص الّذي يصّوره شارد اللّبّ أو متعبا أو أنّه يوشك أن تصيبه نوبة صداع[2]»

وقد قدم لنا فرويد مثالا في رواية " والنشتين" لشيللر عن فلتات اللّسان الّتي تحمل في طيّاتها مغزى معيّن، حيث جرى المنظر الخامس من الفصل الأوّل على النّحو الآتي :« أوكتافوز ...في عجلة : إليها إليها بذاتها !

كوستنبرج : إلى ....

أوكتافيو"متداركا" : إلى الدّوق ! تعال فلنذهب »

1– المصدر نفسه، ص 24.

2–المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

حينها عقّب فرويد قائلا :« لقد كان اوكتافيو يريد أن يقول " إليه ، إلى الدوق " ، لكن خانه لسانه في (نظرنا على الأقلّ) ، فكان قوله " إليها " ما يميط اللّثام عن أنّه، أدرك في وضوح أيّ عمل كان يؤثّر في نفس ذلك المحارب الشّاب وهو يحلم بمحاسن السّلم[1]».

وقد تحدّث فرويد عن اللّغز الّذي حيّر الأطفال وسؤالهم المتكرّر: " من أين يأتي الأطفال ؟ " ، فوجد أنّه لغز شبيه بلغز أبي الهول، فغالبا ما يطرح الطّفل سؤال« من أين يأتي الأطفال؟ ذلك هو أيضا عين اللّغز الّذي عرضه وحش طيبة في صورة مشوّهة من السّهل تصويبها[2] » .

كما تحدّث أبو التّحليل أيضا عن خبرات الطّفولة والّتي تكون في الغالب انعكاسا لرواسب إنسانيّة ؛وهذا مالمسه في الجزء الأول من رواية فاوست لغولته حين قال:

«والشّيء الّذي ورثته عن أبائك

اكتسبه لكي تجعله ملكك » [3]

1- المصدر السابق ، ص 24-25 .

2- ثلاث مقالات في نظرية الجنس، ص 76.

3- فرويد، معالم التحليل النفسي، ص 139.

في حديث فرويد عن نظريّة الغرائز والّتي تعدّ من المفاهيم الّتي طوّرها التّحليل النّفسيّ ببطء ، وجد في الأدب ما يبدّد حيرته حول هذه الغرائز حيث صرّح معترفا بهذا الفشل قائلا :

« وفيما كنت أتخبّط في حيرة بالغة ، وجدت نقطة ارتكاز أولى في فرضيّة الشّاعر الفيلسوف شيللر الّتي تقول أنّ " الجوع والحب " ينظّمان عجلات هذا العالم*. فالجوع كان يمكن أن يكون ممثّل تلك الدّوافع الغريزيّة الّتي تريد الحفاظ على الفرد ، بينما كان الحبّ ينزع صوب المواضيع ووظيفته الرّئيسيّة ، التي تلقى كل تحييذ وتأييد من الطّبيعة ، هي الحفاظ على هذا النّوع[1] » .

وفي حديثه أيضا عن الغرائز، تحّدث عن الغرائز المكبوتة ، وأنّها تنشد دائما الإشباع الكامل ، فهي لا ترضى بالاستبدال ، ولا تقبل بالتّساميّ ، ولا تسمح للإنسان بالتوقّف ، بل – ويستشهد فرويد هنا بالشاعر الألماني غوته في الفصل الأول من فاوست – تدفعه «كما يقول الشّاعر إلى الأمام ، لا تلحقه استكانة ، ولا يصيبه وهن[2] ».

*يشير فرويد هنا إلى مقطع من قصيدة لشيللر بعنوان "الفلاسفة"، و مؤداه:« إلى أن تسند الفلسفة صرح العالم، تتولى الطبيعة بالجوع و الحب صيانة عجلاته» .

1- فرويد، قلق في الحضارة ص 80/و ينظر: فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ص 76.

2- فرويد، ما فوق مبدأ اللذة ، ص 76- 77.

كما أنّه عندها تحدّث عن غرائز الموت (التّدمير) ، ورأى أنّ من النّواميس الطّبيعيّة المحتومة أنّ كلّ مادّة حيّة مصيرها الموت ، وهذا ما وجده يجري على ألسنة الكتّاب والشّعراء إذ اعتبروا هذه الحتميّة في الموت تعدّ شكلا من أشكال الأوهام والرّوغان الّتي من خلالها« نخفّف عن كواهلنا أثقال الحياة[1]» . وأرجع فرويد سبب استفاضة الشّعراء في الحديث عن هذه الغريزة إلى أنّهم قوم غير مسؤولين ينعمون بما يجيزه لهم الشّعر من ترخّص وتحلّل[2].

وفي حديثنا الآن عن الشّعراء ، يطيب لي أن أذكر أبياتا لغوته استشهد بها فرويد لتدعيم فكرته حول الشّعور بالذّنب ، والّذي سيبلغ – بفضل الحضارة – مبلغا شاهقا يتعذّر على المرء تحمّله ، حيث قال مستشهدا في ذلك :« وهنا تخطر ببالنا اللّعنة المهيبة الّتي استمطرها الشّاعر العظيم على "القوى السّماويّة" :

إنّك لترمين بنا إلى مجرى الحياة
تحكمين على الشّقيّ بالإثم
ثمّ تتركينه لعذابه
لأنّه إنّما على هذه الأرض
يتمّ التّكفير عن كلّ خطيئة[3]

1- المصدر نفسه ص 79. و استشهد بهذا القول من الفصل الأول من مأساة مسينا للشاعر شيللر .
2- فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة ، ص 96.
3- فرويد ، قلق في الحضارة ، ص 102.

لقد كتب شكسبير لنفسه الخلود من خلال مسرحيّاته ، ولعلّ أشهرها "هاملت"، إذ جعل هذه الشّخصيّة مفتوحة على عدّة تأويلات لا تستوعبها نظريّة سيكولوجيّة واحدة. لذا لم يكن عجبا أن تتوقّف عندها العقول لتسأل: ما السّرّ في "هاملت" ؟، وتحديدا، لم تردّد هاملت في الثّأر من عمّه لأبيه ؟.

وتعدّدت المحاولات وتناسخت ، بل وتناقضت في بعض الأحيان، وكانت إجابة الفرويديّة عن السّؤال من المقاربات الّتي اشتهرت، واعتبرها بعض المتحمّسين بمثابة أوديب الّذي حلّ اللّغز.

لذا من المفيد أن نعرض تلخيصا لمسرحيّة "هاملت" قبل تقديم الإجابة عنها.

أمام القلعة، بينما المرقبان يؤدّيان مهمّة الحراسة، إذ بهما يبصران وسط اللّيل البهيم شبحا عبوسا مدجّجا بالسّلاح وهو يتّخذ صورة ملك دانمركة الرّاحل (والد هاملت الميّت) ثمّ يختفي فجأة.

حينها ذهب أحد المراقبين واسمه "هوراشيو" ليسرد على "هاملت الابن" نبأ هذه المعجزة، فاندهش لما سمع وقرّر أن يتولى مهمّة الرّقابة بنفسه لعلّ الشّبح يدلج مرة أخرى.

يدخل "هاملت" إلى الإفريز (مكان المراقبة) في جوّ قارس، ولمّا انتصف اللّيل إذا بالشّبح يقبل، فتقدّم "هاملت" وخاطبه متسائلا في دهشة: كيف لعظامك أن مزّقت أكفانها، ولقبرك أن قذفك إلى الخارج ؟، فأشار الشّبح بيده ليسرّ إليه بالحديث في مكان منعزل، فتبعه "هاملت" بكلّ جسارة.

كشف الشّبح السّرّ الّذيُ ورِيَ عن هاملت وبّين له أنّ والده قتل غدرا و أنّ عليه أن يثأر له، فصاح "هاملت" في حماسة: « أسرع ونبّئني به حتّى أستطيع أن أطير للانتقام، بأجنحة في سرعة الخيال، أو سرعة خاطر عاشق»[1].

فأخبره الشّبح أنّهم أذاعوا أنّه مات بسبب لدغة الثّعبان وهو في البستان وماهي إلّا قصّة مزيّفة صدّقها سكّان دانمركة ولكنّ الثّعبان الّذي لدغه هو من يلبس تاجه اليوم ؛ إنّه عمّك "كلوديوس"، إذ صبّ في أذني وأنا نائم في البستان سائلا فتّاكا سلبني الحياة و التّاج و الملكة مرّة واحدة.

يدخل – بعدها– "هاملت" على "أوفيليا" (تلك الفتاة الّتي أحبّها "هاملت" لكنّ "لايرتس" أخوها حذّرها قبل سفره من هذا الحبّ الّذي قد يكون مجرّد نزوة شاب. وهو الأمر نفسه الّذي رآه والدها "بولونيوس" الّذي نصح بأنّ كلّ تلك الأيمان المقدّسة الّتي حلف بها "هاملت" بحبه لها ماهي إلّا خدع وأحابيل لاصطيادها، فنيران حبّه فيها من الوميض أكثر ممّا بها من الحرارة ، فلا تحسبي أنّها نار صادقة، حينها وعدته ابنته أن تبتعد عنه كلّ الابتعاد) في حالة ذعر وجنون وكمد، فخالت أنّ ذلك هو جنون الحبّ في أقصى مراتبه. وسارعت إلى أبيها تخبره بما حدث" لهاملت".

1– أنظر وليام شكسبير، هاملت، جامعة الدّول العربيّة، المنّظمة العربيّة للتّنميّة و الثّقافة و العلوم، ط3، دار المعارف، القاهرة ص 62.

إنّ اضطراب الأمير هاملت العقليّ وجنونه الظّاهر أقلق الملك والملكة. لكنّ "بولونيوس" طمأنهما أنّ هذا الجنون ما هو إلاّ هذيان عاشق، وأطلعهم على رسائله الغراميّة لها.

وفي يوم أعلن عن وصول فرقة التّمثيل المتجوّلة، فأظهر هاملت الودّ نحوهم مفعما بالحيويّة القديمة لديه، لكنّه فكّر في أن يلقّن أحد الممثّلين مقطوعة يضمّنها في المسرحيّة، تجسّد المؤامرة الّتي كيدت لأبيه، وليتأكّد من خلال ملامح الملك "كلوديوس" إن كان هو الجانيّ فعلا أم أنّ الشّبح مجرّد وهم.

وما إن بدأ المشهد التّمثيليّ الّذي يحاكي مقتل أبيه في صبّ السّمّ في أذنه حتّى انتفض الملك، ونهض غاضبا من مجلسه، فسرّ هاملت بنجاح حيلته. حينها قرّر الملك فورا إرسال هاملت إلى إنجلترا زاعما بذلك أنّه يحفظ الدّولة من جنونه لكنّه أضمر له القتل هناك.

أرسلت الملكة إلى ابنها ليلحق بها في مخدعها لتعرف منه سرّ هذه التّمثيليّة. فاتّجه هاملت إلى حجرتها حيث كان "بولونيوس" مختبئا وراء السّتار جاهزا للاستمتاع ولنقل ما يسمعه.

لامت الملكة "جيرتورد" هاملت بقسوة لأنّه تسبّب في إغضاب عمّه الملك وقد قابل الابن القسوة بمثيلَتها. ولمّا أرادت أن تنهي الملكة المقابلة أمسكها هاملت من ذراعها بعنف وأجلسها عنوة، فصرخت الملكة بذعر: النّجدة، النّجدة فصرخ "بلونيوس" أيضا خلف السّتار بالنّجدة. حينها قام هاملت وضرب بسيفه ضربة

اخترقت السّتار، فسقط "بولونيوس" قتيلا، ثمّ عاد إلى حديث مع أمّه بفيض من الحبّ مذكّرا إيّاها بحبّها لأبيه الشّهم وعن خيانة عمّه الوضيع.

سمع "لايرتس" نبأ وفاة أبيه، فقرّر العودة مسرعا ناشدا الانتقام لمقتله ، أمّا أوفيليا فكانت الصّدمة عليها شديدة أذهبت عقلها، وانتهى بها جنونها إلى غرقها في جدول عندما أرادت أن تعلّق أكاليل الزّهر على شجرة مائلة فسقطت غارقة. وعند دفنها رأى هاملت المشهد الحزين فوثب على قبرها منتحبا، فيراه "لايرس" الّذي كاد أن يقضي عليه لولا أنّهم فرّقوا بينهما. دعا الملك هاملت أن يخوض منازلة ودية مع لايرتس (وكان قد اتّفق هذا الأخير مع الملك على قتل هاملت وذلك بأن يدهن "لايرتس" سيفه بسمّ زعاف حتّى إذا خدشه فقط، يكون الجرح مميتا)، فقبل في الحال.

وأثناء النّزال، وضع الملك سمّا لهاملت وطلب منه أن يشرب نخبا لضرباته الأولى "للايرتس"، لكنّه رفض تناوله إلى أن يتمّ الجولة أوّلا. حينها تناولت الملكة الكأس المسمومة وشربت نخب ابنها هاملت. ثمّ احتدمت المبارزة أكثر، فأصاب "لايرتس" "هاملت" بجرح أنزفه، وأوقع كلّ من الرّجلين سيفه أثناء النّزال، وصدف أن استبدلاهما عند التقاطهما فضرب "هاملت" بعد أن أمسك بالسّيف المسموم وطعن "لايرتس".

سقطت الملكة ميّتة، فأسرع إليها هاملت، حينها صرخ "لايرتس" كاشفا الغدر أنّك يا هاملت في قبضة المنيّة بالسّلاح المسموم الّذي في يدك، و أنّ أمّك سمّمت أيضا ..، اندفع هاملت بكلّ قواه نحو الملك و طعنه بالسّيف الّذي بيده، ثمّ لم يكتف بذلك بل دفع بعنف ببقايا الشّراب المسموم في فمه، فأخذ بثأر أبيه كاملا. مدّ "لايرتس" يده لهاملت طالباً الصّفح ثمّ سقط ميّتا، كان حينها هاملت يلفظ أنفاسه الأخيرة، فأوصى صديقه المخلص "هوراشيو" أن يروي للنّاس قصّته على حقيقتها، ثمّ فارق الحياة.

إشكاليـــّة التّـــردّد:

إنّ شخصيّة هاملت كانت لها من قوّة الإرادة ما تقهر كلّ ألم إلّا أنّه كثيرا ما كان يتوانى عن العمل وتُشَلّ إرادته أمام فعل الانتقام، أو أن يفصل في اتّخاذ القرار، فيعود إلى التّكاسل والقلق و الحيرة من جديد، إذ نجده يقول مثلا مبرّرا تخاذله:

« فلربّما كان الشّبح الّذي رأيته شيطاناً
و للشّيطان مقدرة على أن يتّخذ أيّة صورة تروق له
أجل، ولعلّه أراد أن يستغلّ ضعفي و همومي
لكي تحيق بي اللّعنة و المقت[1] . »

1- المرجع السابق، ص102.

فكان بذلك يغوص في التّفكير و الخيال، وطرح الأعذار، و تشنيع الإجرام أكثر منه في الإقبال على الانتقام.

كما أنّ هاملت على الرّغم من أنّه كان يتمتّع بشجاعة الفارس وجسارته، إلّا أنّه كثيرا ما تناقضت مشاعره وتباينت مواقفه، بين إصرار كبير على الثّأر، ونفور مدهش منه. وهذا النّص خير ما ينبئ بذلك:

«فما با لي أتقبّل هذا كلّه !

اللّهمّ إلّا أن أكون حقا جبانا رعديدا

تعوزّني الشّجاعة الّتي تجعلني أحسّ مرارة الضّيم » [1].

ورغم أنّنا لا نشعر أنّ "هاملت" قد تخلّى عن فكرة الانتقام طوال المسرحيّة لكنّنا نجده يؤجّل فعل الانتقام رغم الظّروف السّانحة له. فبدل أن يقبل على قتل عمّه " كلوديوس"، مات في المسرحيّة الكثير منهم: بولونيوس، أوفيليا الملكة لايرتس... إلى أن يصل إلى الهدف الّذي رسمه من أوّل وهلة وهو قتل الملك "كلوديوس". لذا نجده يفصح عن إرادته الواهيّة المشلولة قائلا:

« فما أنا إلّا وغد خائر العزيمة

أتحرّك كالحالم، لا أحسّ تبعة أمري

لا أستطيع أن أنطق بكلمة، من أجل ملك عظيم

ارتكبت أفضع الآثام لسلب ملكه وحياته الغاليّة

فهل أنا جبان رعديد؟ » [2] .

1- المرجع نفسه، ص 101.

2 - المرجع نفسه، ص 100.

و أعتقد – في نظري – أنّ شكسبير عمد عن قصد إلى تأجيل قيام هاملت بفعل الانتقام، وذلك ليتمكّن الكاتب من عرض أفكاره وبسط آرائه حول المسرح، و إثارته لبعض المواضيع كالخيانة، والوفاء، والحبّ، وما ساد في مجتمعه من قيم أو فساد.

كما أنّنا إذا عدنا إلى نصّ المسرحيّة نجد "هاملت" يتمتّع بقيم أخلاقيّة عاليّة، تعكس الجانب الرّوحيّ السّمح في شخصه وهو الأمر الّذي حال بينه وبين القتل، فنجده يقول:

« فهل أكون قد أدركت منه، إذا أنا أخذته
وهو منشغل بتطهير روحه من الإثم، وقد
تأهّب واستعدّ للانتقام من العالم الفانيّ إلى العالم الباقيّ؟
كلاّ، عد إلى غمدك أيّها السّيف
و تربّص به فرصة أكثر شجاعة. ».[1]

تفسير فرويد و أرنست جونز لإشكاليّة التّردّد

تناول سيجموند فرويد و أرنست جونز إشكاليّة تردّد هاملت، وذلك من منطلق أوديبيّ.

لقد حاول فرويد دراسة هاملت من النّاحيّة النّفسيّة، ففي رسالة له بتاريخ 15 أكتوبر 1897، نجده يتساءل إن كان الوعي هو الذي يجعل منّا جبناء؟ وهل

1- المرجع السابق، ص 135.

امتلاك الضّمير هو في حدّ ذاته شيء سلبي؟ لِمَ تردّد هاملت في قتل عمّه والانتقام منه رغم توفّر الفرصة لديه لفعل ذلك؟ هل هناك سبب ما وراء ذلك؟.[1]

اعتبر فرويد هذه المسرحيّة ثاني أكبر وجه دراميّ؛ فهي تنتمي إلى فئة المواضيع الفذّة والمثاليّة، إذ أنّ هاملت يجسّد قناع الطّفولة الّذي لا يقبل التّخطيّ بل الوقوف و التّساؤل[2].

رأى فرويد أنّه بإمكانه أن يحلّ لغز البطل المسرحيّ المماطل هاملت، وذلك وفق عقدة أوديب، إذ إنّ هاملت يسعى إلى الاقتصاص من شخص يتوافق مع حقيقة رغباته الأوديبيّة، ومن ثمّ « فإنّ عدم فهم الأدباء لهذه الحقيقة ليدلّ على ميل النّاس إلى التّمسك بالكبت الّذي تمّ أثناء الطّفولة[3] ».

و بهذا فإنّ أمير الدّنمارك كان يعاني من عقدة الأب، ولهذا تردّد في قتل عمّه لأنّه أحاله على ذكرياته الطّفوليّة و ما حملته من رغبات جنسيّة تجاه أمّه، وعداء ورغبة مضمرة في قتل أبيه وإزاحته بالكامل لينفرد بها وحده. وبهذا قرأ فرويد « أفكار هاملت أو مريضه من خلال لاوعي ما قرأه من طفولته الخاصّة »[4].

لقد تردّد هاملت في قتل عمّه "كلوديوس" لأنّه جسّد رغبته الآثمة، وحقّق ما كان يرغب فيه، فرأى أنّه ليس بالشّخص الجدير بالاقتصاص. وهذا ما أكّده فرويد

1- ERnest jones, oedipe et hamlet, P 10.

2 -Op, cit , P30

3 - سيجموند فرويد، معالم التحليل النفسي، ص114.

4-Ernest jones, Hamlet et oedipe, p36.

حين قال:« إنّ هاملت يستطيع أن يأتي كلّ شيء إلّا أن يثأر من الرّجل الّذي أزاح أباه واحتلّ مكانته عند أمه، الرّجل الّذي يريه –إذن– رغباته الطّفوليّة وقد تحققت. وهكذا يحلّ عنده محلّ الاستبشاع الّذي كان كفيلاً أن يدفعه إلى الانتقام، تأنيب النّفس وتخوف الضّمير يذكرانه أنّه لا يفضل بحرف ذلك الخاطئ الّذي كلّفه عقابه. وأنا إذ أقول ذلك أترجم في عبارة شعوريّة ما كان مقرّرا بقاؤه لا شعوريّا في نفس البطل».[1]

كما نجده يشرح ذلك التّردد في موضع آخر حيث قال:« فقد أحجم الأمير عن توقيع العقوبة على شخص آخر من أجل عمل يطابق جوهر رغباته الأوديبيّة، ويبيّن استعصاء هذه المسرحيّة على الفهم في عالم الأدب مبلغ تشبّث الإنسان بكبته الطّفليّ [2]» .

بل وبرّر هذا التّراجع بذكريات طفولة كاتب المسرحيّة الّتي نسبها إلى "إيرل أكسفود" لا شكسير إذ قال: « يغلب على الظّن أنّ وليم شكسبير اسم مستعار يستتر خلفه عظيم مجهول: وقد حدث لإدوارد دي فير، إيرل أوف أكسفورد الّذي اعتبر صاحب مؤلّفات شكسبير، أن فقد أباه الّذي يحبّه ويعجب به وهو لا يزال صبيّاً، وانفصل عن والدته الّتي ارتبطت بزيجة جديدة، بعد وفاة زوجها بقليل.»[3].

1– فرويد، تفسير الأحلام، ص 281–280

2– فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ص95.

3– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فإحساس هاملت بالذّنب، وشعوره المميت بتأنيب الضّمير، جعل حركته تشلّ نحو عمليّة الانتقام، إذ كان عليه أن يثأر ممّن قتل أباه، ولكنّه وجد نفسه عاجزاً، لأنّ إحساسه بتأنيب الضّمير يشلّه «ولكن بطريقة منسجمة مع مقتضيات العمليّة العصابيّة، فإنّ الإحساس بالذّنب يحلّ محلّه إدراك عدم طاقته على إتمام واجبه في الثّأر»[1].

لقد ظلّ هاملت رهين عقدة أوديب، إذ يتجلى ذلك واضحاً عندما طلب من أوفيليا أن تذهب للدّير، فنفور هاملت من حبيبته ليفسّر: «بانشغال البطل برغباته القديمة الّتي أيقظها حادث مقتل الأب»[2]. ومن ثمّ، فليست الملكة – حسب فرويد – وحدها من خانت وعد الحبّ المقدّس لزوجها الفقيد، بل حتّى "هاملت" لم يستطع أن يحبّ "أوليفيا" يوما، فقد فقدت هذه الأخيرة كلّ من تحبّ، وماتت دافنة أحزانها إلى الأبد[3].

رفض فرويد إجابة غوته الّتي اعتبرت البطل شخصاً يتمتّع بعقل كبير مفرط النّمو، وهو الأمر الّذي حال بينه وبين فعل الانتقام. بيد أنّ المسرحيّة ترينا أنّ هاملت ليس بفاقد القدرة على القتل، إذ نراه «يعمل مرّتين: الأولى عندما قتل مستشار الملك، والأخرى عندما قتل رجلين من البلاط»[4].

1 – فرويد ، دوستويفسكي وجرمة قتل الأب، ص177.

2– بن حلي عبد الله، الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي، ص78.

3– Ernest jones ,Hamlet et Œdipe , p31.

4 – بن حلي عبد الله ، الفكر الفرويدي وأثره في النقد العربي ، ص78.

وبهذا كشف لنا فرويد سرّ تردّد "هاملت" بتسليطه الضّوء على ذكريات طفولة مدفونة في اللّاشعور، والّتي جعلت عزيمته تتراجع عن فعل الانتقام. وفي ظلّ هذه النّظرة الأوديبيّة، يصرّح فرويد إثر تحليله لشخصيّة "هاملت" قائلا: «لدرجة حبّه وشغفه بأمّه تردّد في قتل عمّه، وقد تمنّى في أعماق قلبه لو أنّهما لاقا الحتف نفسه، فيحظى هو بوالدته كزوجة. كان إحساسه بتأنيب الضّمير يكاد يقتله، فهو يلقي اللّوم والعتاب على نفسه الأمر الّذي جعله يلقى حتف والده، ويتسمّم حتّى الموت...» [1].

هذه الأسطورة اليونانيّة، تنمّ عن حالة من الهيستريا عاشها أوديب، فشخصيّة "هاملت" شخصيّة هستيريّة، ترجع – حسب فرويد – إلى صراع داخليّ رهيب، وليست مجرّد ضعف نفسيّ، بل هوس رهيب، وهستيريا من نوع خاصّ. فأمير الدّنمارك لا تنقصه الطّاقة، ولكنّه لا يتحكّم في قواه الدّاخليّة، ولا يستطيع التّغلب على شعوره بالذّنب، ولا يمكنه تخطّي مسألة اغتيال أبيه، ولا جرم عمّه[2]. فحياة هاملت مليئة بالتّقلّبات النّفسيّة، والمناجاة للذات المعانية من الانتقام وإمكانيّة الغفران واستحالة النّسيان، صراع لا متناهي، هستيريا، جنون دائم لا يكفّ[3].

ومن ثمّ، فهاملت ليس بقاتل والده ولكن من يريد الانتقام له، هو منتقم متردّد، يؤخّر دون سابق إنذار وعده بالانتقام، مسكون بالقلق و التّوتر والمحاولة.

1 –E Rnest Jones Hamlet et Œdipe , p11.

2 –Op , cit , P11.

3 –Op , cit , P11.

فالأب وحادثة مقتله شبحان يلاحقان هاملت دونما توقّف، إنّه لا يعاقب مرتكب الجريمة بقدر ما يعاقب نفسه[1].

وبهذا يتسنّى لنا فهم غموض المسرحيّة، وما يعتريها من لبس في هيستيريّة هاملت و معاناته النّفسيّة، والّتي تتجلّى وبشكل مكشوف منذ بداية المسرحيّة من خلال الكلمات المشفّرة والألغاز المعقّدة الّتي يستعصى فهمها وتحليلها. وقد رأى فرويد أنّ المتعصّب أو المجنون إن صحّ التّعبير يملك لقب أمير الدّنمارك هو في حدّ ذاته «لشرف عظيم، بل مفرط فيه»[2].

عقدة أوديب عند هاملت:

أشار فرويد إلى عوامل التّشابه الموجودة بين شخصيّتي أوديب وهاملت وكأنّهما عملة لوجه واحد. ففي رسالة بعث بها إلى صديقه "فليس" بتاريخ 5 نوفمبر 1897 كشف فيها عن مخاوفه من التّصدي والرّفض لهذه الفكرة من قبل النّقاد والقرّاء[3].

إذ إنّه في مقدّمة بحثه عن التّحليل النّفسيّ سنة 1916. ركّز فرويد على جعل هاملت محور موضوع أسطورة أوديب[4]، وبهذا جعل أوديب كموضوع عالميّ موجود بهاملت.

1 –Op , cit , P37.

2 –Op , cit ,P32.

3 –Op , cit , P12.

4 –E Rnest Jones Œdipe et hamlet , P17.

يربط فرويد في مقدّمة له عام 1925 علاقة هاملت بأوديب بوصفها علاقة بين تراجيديا الشّخصيّة وتراجيديا القدر، وهي علاقة ثريّة ومتنوّعة، قابلة للنّظر فيها وتحليلها تحليلاً عميقاً ومفصّلاً[1]. كما رأى أنّ شخصيّة هاملت الّتي رسمها المؤلّف شكسبير بعد فترة وجيزة من حادثة وفاة والده، ما استطعنا أن نكشف سرّها رغم مرور أكثر من ثلاثمائة سنة إنّها تتضّمن عقدة أوديب حين ينمو بداخلها حسّ تأنيب الضّمير الّذي يصدّها ويشلّها عن تأدية مهمّتها[2]. ومن ثمّ فإنّ فرويد يعطي اسم أو ديب لكلّ شخص هو كهاملت.

فحديث فرويد عن هذه التراجيديا التي ظلت موضع الإعجاب طيلة هذه الأعوام دون أن يُكتشف معناها أويُفطن إلى دوافع مؤلفها ، جعلته يرى أنه من المستحيل« أن يكون الشاعر قد أنتج بمحض الصدفة تلك الشخصية العصابية التي انهارت أمام عقدة أوديب شأن عدد لايحصى من مثيلاتها في الحياة الواقعية فقد واجه هاملت مهمة الانتقام من شخص آخر لارتكابه فعلتين هما موضوع الرغبات الأوديبية ، وإزاء هذه المهمة شلت يداه بسبب شعوره الغامض بالذنب » [3].

كما قارن فرويد بين شخصّيتي أوديب و هاملت، فرأى أنّ الحاجة كانت تبرّر أفعال أوديب، كما أنّه لم تكن هناك أسئلة تطرح حول الحالة النّفسيّة للبطل

1 –Op ,cit, P27.

2 –Op ,cit, P28.

3– فرويد ، حياتي و التحليل النفسي ، ص97.

في حين أنّنا نجد هاملت شخصيّة مرحة، حيويّة، تمتزج الحاجة فيه بالاغتيال حاجة صمّاء من طرف أسباب خفيّة، و الّتي تعدّ في حدّ ذاتها عقدة أوديب.

ومن ثمّ لا يحتاج أوديب لتفسير أو شرح لأنّه هو الّذي يدير التّفسير، في حين أنّ تصرّفات هاملت كأعراض يجب أن تفسّر و تحلل[1]. ذلك لأنّ في أسطورة أوديب تظهر فيها الرّغبة جهارا، بيد أنّها تظلّ في هاملت رغبة مكبوتة لا نعلم عن وجودها شيئا[2].

كما اعتبر فرويدْ أوديبْ شخصا حالما، يغطّ في نوم عميق، يرتدي قناعا يعيش في ظلمة اللّيل ليتيح للآخر فرصة التّقدّم نحو الأمام بخطوة، بينما هاملت شخص مجنون ، هو الهستيريا في حدّ ذاتها، و الّتي على فرويد ملاحقتها وتتبّعها، فدراسة هاملت مكّنته من دراسة أوديب، لأنه عدّها مرحلة أساسيّة يجب المرور بها[3]، إنّ رسالة فرويد المؤرّخة في 15 أكتوبر 1897م، لم تكن تخصّ الأدب فحسب، بل كانت نموذجا قبل كلّ شيء، تجربة رمزيّة لفكّ الغموض الأوديبيّ، وفي هاملت القانون الّذي يطبّق بطريقة فعليّة ليس على شخصيّات دراميّة من وحي الكاتب فحسب، بل على مرضى أحياء[4].

وبهذا أضحى أوديب وهاملت صورتان وسيطتان بين فرويد ومريضه، هما لغة مشتركة تتشابه في عدّة سمات وهذا ما أكّده الفحص التّحليليّ؛ إذ إنّ كلّ

1- Op ,cit, P25-26

2- فرويد، تفسير الأحلام، ص 280

3 -E Rnest Jones , Hamelt et Œdipe , P35.

4 - Op. Cit, P35.

عصابيّ هو من طراز أوديب، وكل مستجيب لهذه العقدة هو على شاكلة هاملت وكلاهما يحملان دلالة الأمر نفسه[1] .

أمّا عن أرنست جونز فقد رأى أنّ كثيرا من الرّوايات ما مجّدها التّاريخ وخلّدها، وأنّ هذا ما حظيت به بالأخص مسرحيّة هاملت ونظيرتها دون كيشوت أين يجتمع الغموض الرّائع بالخيال الواسع، نحاول اللّحاق به بأيّة طريقة سواء بالفكر أو باللّاوعي منّا [2].

ومن ثمّ، حاول العديد من نقّاد الأدب والباحثين تحليل ودراسة عمق مسرحيّة هاملت أي فحواها وما ترمي إليه مع الابتعاد الكلّيّ عن البنى السّطحيّة للنّص فاختلفت القراءات وتباينت باختلاف القرّاء والمشاهدين على امتداد القرون والأجيال.

وبهذا أضحت المسرحيّة منفتحة على عدّة تأويلات «قد تؤدي ببعض الدّارسين إلى الإصابة بالدّوران والغثيان لشدّة عمقها وغموضها السّاحر، إذ باتت مسرحاً تلتقي فيه كلّ الأطياف الأدبيّة من خلال محاولتهم دراسة ما وراء السّتار..» [3].

إن دراسة فرويد لهاملت قد مهّدت الطريق للدّارسين للقيام بملاحظات وتحليلات حول هذه الشّخصية العصابيّة وهذا ما صرّحه فرويد في قوله : « وقد

1 –فريد ، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ،ص 371

2 –E Rnest jones , Œdipe et hamlet , p22

3– Op.cit ,p24.

حدت ملاحظاتي الخاصة بتراجيديا هاملت " بارنست جونز" فيما بعد إلى القيام بتحليل كامل لهذه التراجيديا ،ثمّ حَذا حذّوه "أوتورانك" فاتخذ من هذه الملاحظات مقدمة لبحثه تخير كُتّاب الدراما لموضوعات بحثهم . وقد استطاع في كتابه الضخم عن مسألة المحارم أن يبين كيف أن الشعراء طالما اتخذوا مسائل الموقف الأوديبي موضوعا لهم»[1].

في تفسير أرنست جونز لإشكاليّة تردّد هاملت، ذهب إلى ما ذهب إليه فرويد القائم على "عقدة أوديب"، ورأى أنّ حبكة المسرحيّة تكمن في تراجع البطل عن أداء مهمّته ألا وهي القتل[2] .

أورد جونز قولا "لغوتهGoethe"*، وعدّه من بين أفضل المفاهيم الّتي أفلحت في تفسير شخصيّة هاملت وتردّدها إذ تقول المقولة: «هاملت هو ذلك الصّنف من الرّجال الّذي يعاني من شلل في القوى الدّاخلية، مصدره التّطور المفرط في النّشاط الفكريّ أو الظّل الشّاحب للفكر"[3].

راح أرنست جونز يصوغ إشكالا يعدّ لبّ المسرحيّة، إذ بيّن أنّ شخصيّة هاملت تدعونا إلى التّساؤل دوما عمّا يخبّئه لنا يا ترى أمير الدّنمارك من خلال

1 –فرويد ، حياتي و التحليل النفسي ، ص97.

2– Op.cit ,p14

*غوته: يوهان فولفغانغ نفون غوته (1749–1832) أشهر أدباء ألمانيا المتميزين والذي ترك إرثا أدبيا وثقافيا ضخما للمكتبة الألمانية والعالمية.

3– Op.cit p , p19

ماضيه، طفولته ؟. كما وجد أنّ هاملت يظهر أمامنا كشخص مضطرب، له نفسيّة خاصة وغامضة تتّسم بالغرابة الّتي تدفع بفضولنا إلى محاولة معرفة أسبابها[1].

بيّن الباحث جونز أنّ للبطل شخصيّة خادعة لا ترينا الوجه الحقيقيّ، فقد استطاع بنجاح باهر أن يكبت مشاعره العدائيّة الأوديبيّة تجاه أبيه، وأن يوهمنا بحبّه و إعجابه له، بل أن يظهر وفاءه الكامل بعد رحيله. ومن ثمّ عانى هاملت صراعا مريرا بين ما أظهره وما أضمره، فكان «يرتدي دوما قناعاً يخفي حقيقته ويحجبها»[2]، ولهذا تجسّدت فيه عقدة العجز عن تأديّة المهمّة الموكلة إليه والملقاة على عاتقه[3]. وهذا ما جعله يتردّدفي قتل ممّن حقّق له رغبته المكبوتة.

كما خرج أرنست جونز بحقيقة مدهشة أماطت اللّثام عن خبايا أنفسنا جميعا من خلال دراسته لهاملت، إذ سبر به أغوارنا، وكشف من خلاله عن خبايانا المدفونة في اللّاشعور. إذ صرّح أنّه يتجلّى في هاملت «قصّة كلّ إنسان منّا أي كلّ الجهاز النّفسيّ للبشريّة جمعاء، من اللّاوعي، الضّمير، اللّوم، العتاب التّأنيب..، فشكسبير الّذي يصوّر الواقع بحذافيره لم يخلق دورا، بل إنسانا كاملا»[4].

1- Op.cit p , p27.

2-Op.cit p , p20.

3- Op.cit p , p29.

4 -Op. Citm P27.

رأي المعارضة :

لقد ذهب "ليونيل تريلنج lionel trilling" * إلى ما ذهب إليه فرويد في أنّ المسرحيّة يكمنْ سّرها في تأثيرها جاذبيّتها السّاحرة الّتي تولّد فينا ذلك الاهتمام العظيم[1]. كما اتّفق مع فرويد الاتّفاق كلّه أنّه لا جدال في احتواء مسرحيّة هاملت على وضع أوديبيّ، بل إنّها لإضافة جديدة لصالح الرّواية [2].

إلاّ أنّ فرويد وقع – حسب تريلنج – في خطأ كبير حين نسب مسرحيّة هاملت لكاتب آخر ، ومن ثمّ تفسيره الخاطئ التّابع لها. فقد أوضح النّاقد معلّقا عن هذا في عبارات تهكميّة قائلا: «وقد يكون مسلّيّاً هنا أن نتذكّر أنّ فرويد آمن سنة 1935 بالنّظريّة الّتي تقول أنّ مؤلّف المسرحيّات لم يكن شكسبير ابن ستراتفورد، ولكن ابن إيرل أوكسفورد وبذلك أوهى القسم الأهمّ من حجّته، وهو كون والد شكسبير قد مات قبل تأليف هاملت بقليل»[3].

كما أنّ فرويد – والرّأي لتريلنج دائما– كان مخطئا كخطأ "غوته" حين حكم على هاملت بأنّها شخصيّة يتجسّد فيها الضّعف النّفسيّ[4].

*ليونيل تريلنج: (1905–1975) ناقد أدبي أمريكي وكاتب وأستاذ بجامعة كولومبيا

1 – ليونيل تريلنج، فرويد والأدب ، ص451.

2 –المرجع نفسه، ص452.

3– المرجع نفسه، ص454.

4 –Anne Camille Plichart, Freud Lecteur, Acta fabula, P02.

وليس هذا فحسب، بل إنّ فرويد كثيرا ما كان لا يفلح في تفسيره لدوافع شخصيات أبطال شكسبير وابسن*، إذ إنّ كثيرا من المشاهد التراجيديّة الّتي نجدها في أعمالهما الأدبيّة تقنع القارئ بأنّ: «الليدي مكبث، وريبيكا لم تشعرا بالذّنب قبل ارتكاب الجريمة. وهكذا فإنّ التفسير الفرو يديّ للأعمال الفنّيّة والأدبيّة لا يعكس الصّورة الحقيقيّة لسلوك الشّخصّيات الدّافعيّ»[1].

أمّا عن دراسة أرنست جونز، فقد أثنى تريلنج عن بحثه في هاملت حيث قال: «إنّ بحث الدّكتور جونز نوع من التّحصيل المجهد و العبقريّة الحقيقيّة المتفوّقة، و البحث لا يأخذ على عاتقه توضيح سرّ هاملت فحسب، ولكنّه أيضا يحاول اكتشاف مفتاح كثير من المؤلّفات الأعمق الّتي أبدعها عقل شكسبير»[2].

كما أشاد تريلنج على الباحث جونز الّذي استطاع أن يكشف قصد شكسبير من وراء رسمه لشخصيّة بطله هاملت، وهو القصد الّذي غلّفه الكاتب بغموض شبيه بالحلم، وذلك لأنّه يرتبط ارتباطا عميق الصّلة بالحياة الشخصيّة والأخلاقيّة للمؤلّف. إلاّ أنّ جونز كان متعنّتا في أحكامه الّتي رأى فيها أنّ كلّ مفتاح يفكّ شفرات الدّلالات الدّاخليّة للمسرحيّة، من شأنه أن يعطينا بالضّرورة مفتاحا لفهم الكثير من الإبداعات الأكثر عمقا لعقل شكسبير[3].

---

*هنريك يمهان ابسن Henrik johan ibsen (1828-1906) كاتب مسرحي نرويجي كبير ، كان من أهم العاملين على ظهور الدراما الواقعية

1- فاليري ليبين، مذهب التحليل التحليل النفسي والفلسفة الفرويدية الجديدة،ص 82.

2- المرجع نفسه ، ص 452

3- المرجع نفسه ، 454

اعتبر أرنست جونز مسرحيّة هاملت رائعة شكسبير، وأنّها الأبدع في كل مسرحيّاته، حتّى أنّها يمكن أن توضع «في مستوى خاص بها تماما»[1]. ولكنّ تريلنج بيّن أنّ هذه المسرحيّة «تعرّضت لفترة كسوف وأنّ الفرنسيّين وهم أمّة غير خاليّة من الشّعور البنويّ كانوا دوما وبشكل مفضوح قليليّ الاهتزاز نوعا ما للجاذبيّة السّحريّة في هاملت»[2].

كما قدّم تريلنج نقدا ساخرا لجونز الّذي عدّ مسرحيّة هاملت تعكس وحدها – ما لا يفعله أيّ عمل من أعماله – فلسفة شكسبير و آرائه الشّخصيّة «وهذا يعني أنّ كلّ الشّواهد المناقضة أو المعقّدة أو المعدّلة الّتي يمكن أن نستقيها من آثاره الأخرى قد ألغيت على أساس قبول دكتور جونز للمكانة العجيبة الّتي تحتلّها هملت بين آثار شكسبير على حدّ رأيه»[3].

وقد أوضح تريلنج أنّ الكاتب شكسبير عندما أبدع إنتاجه المسرحيّ هاملت لم يكن «يقصد دافع أوديب أو أيّ شيء دون هاملت، وإذا كان المعنى هو التّأثير، إذاً هاملت، هو الّذي يؤثر فينا لا الدّافع الأوديبيّ»[4].

1- المرجع السابق، ص 454
2- المرجع نفسه، ص 453
3- المرجع نفسه، ص 454
4- المرجع نفسه، ص 455

أثر فرويد في قراءة شكسبير

لقد بحث فرويد في الحدث الحقيقيّ الّذي دفع بالشّاعر شكسبير إلى كتابة مأساة هاملت، فوجد أنّ «اللّاوعي منه هو الّذي مكّنه من فهم اللّاشعور المتجسّد في شخصية بطله»[1].

كما ذكر أبو التّحليل النّفسيّ في كتابه تفسير الأحلام أنّ مأساة هاملت هي انعكاس الحياة النّفسيّة للشّاعر فيها إذ إنّها كتبت فور موت أبيه؛ أي حينما كان الحزن في أشدّه، وحينما بعثت المشاعر الطّفليّة نحو والده من جديد، إضافة إلى أنّ ابن شكسبير الّذي مات في سنّ مبكرة كان اسمه "هامنت" (ما يقارب هاملت)[2]. وهو الأمر نفسه الّذي أوضحه جورج براندشو George Brandes show * في مؤلّفه حول شكسبير؛ إذ بيّن أن كتابته لمأساة هاملت قد تزامنت مع وفاة والده سنة 1601[3].

1- E Rnest jones , oedipe et hamlet , p10

2- فرويد ، تفسير الأحلام ص 281

*جورج براند شو George bernand show (1856-1950) مؤلف إيرلندي شهير ، يعد أشهر الكتاب المسرحيين ألف ما يزيد عن 60 مسرحية وهو الوحيد الذي حاز على جائزة نوبل للأدب عام 1925 ، وجائزة الأوسكار من سيناريو.

3-E Rnest yones ,Hamlet et oedipe , p15

لقد كشف فرويد من خلال مشهد في مسرحيّة هاملت ، وتحديدا من خلال حديث البطل مع أوفيلي، كرهه للجنس، ونفوره منه، وعليه، لا يمكن لهاملت أن يكون إلّا انعكاسا للحياة النّفسيّة للشّاعر نفسه أي شكسبير المبدع[1].

طرح فرويد عدّة إشكالات من شأنها أن تفسّر لنا أغوار المبدع، وتكشف لنا من خلال مسرحيّته عن شخصه، فهاملت يحيلنا إلى القول متسائلين: ماذا يوجد يا ترى من وراء شكسبير؟ غيرته؟ طفولته؟ اللّاوعي منه؟ وحتّى عبقريّته؟. ليجيب فرويد عن هذه الاستفهامات بأنّها نداء طبيعة خلّاقة ومبدعة تفصح عن وجود: «كاتب عظيم يحمل ريشة ... غير مقتبس، بل أصليّ»[2].

وضع فرويد مقاربة هامّة تجمع بين تصرّفات هاملت وبين فئة المتعصّبين الّذين يخضعون للعلاج النّفسيّ من قبل المحلّلين و الأخصّائيّين في الحياة الواقعيّة. ففي الخطاب التّأويليّ يلتقي لاوعي المتخَيّل لهاملت باللّاوعي المتخَيّل لشكسبير، وبذلك أضحى هاملت لا يشغل «سوى حيّز الخطاب الّذي منحه إيّاه شكسبير[3].»

1- Op.cit , p15.

2- Op.Cit, P24.

3 -Op.Cit, P26.

كما أشار فرويد في كتابه التّحليل النّفسيّ عام 1938 إلى الكاتب إدوارد دي فير Edward de vere * المتخصّص في كتابات شكسبير إلى أنّ هذا الأخير قد فقد والده وهو صغير، أب يحبّه ويكنّ له الاحترام والتّقدير، لكنّ سرعان ما انقطعت علاقته بوالدته الّتي ارتبطت بزوج آخر بعد وفاة والده مباشرة. ومن ثمّ فقد «ظلّ مؤلّف هاملت عبارة عن كتاب لحياة المؤلّف، والممثّل لشكسبير ذاته»[1].

كما لاحظ فرويد، أنّ شكسبير يعمد بشكل مقصود إلى تقسيم الشّخصيّة الإنسانيّة الواحدة إلى شخصين، وذلك من أجل أن يؤكّد لنا تناقض المشاعر الإنسانيّة و تعارضها. فأبطال شكسبير – بالفعل – يتّصفون بازدواجيّة العواطف في أحاسيسهم وآلامهم[2].

أثر شكسبير في فرويد :

لاشك أنّ وليام شكسبير المبدع له ما يزيد عن سبعة آلاف كلمة أضيفت إلى القاموس اللّغويّ الإنجليزيّ، كان له من الوقع الكبير في حياة رائد التحّليل النّفسيّ الشّغوف بالثّقافة الأدبيّة. لذا نحاول هنا أن نكشف عن عمق النّفوذ الّذي مارسه شكسبير عليه من خلال إبداعاته.

*إدوارد دي فار (1550–1604) فقد والده في 1562 ، فتزوجت والدته برجل آخر يدعى تشارلز تيربل درس في جامعة كامريدج ، وقضى عدة سنوات في أوربا ، تزوج وأنجب 5 أولاد ثم توفيت زوجته ، فتزوج مرة أخرى.

1 – Op.Cit, P39.

2 – فاليري ليبين، مذهب التحليل النفسي والفلسفة الفرويديّة الجديدة، ص 81.

تعدّ مسرحيات شكسبير خير من خدمت نظريّات التّحليل النّفسيّ، إذ إنّ فرويد كثيرا ما يستعمل في مؤلّفاته مفاهيم تنتمي إلى حقل اللّغة الشّكسبيريّ[1].

وإذا ما عدنا إلى طفولة فرويد، نجد أنّ المصادر تخبرنا أنّه كان قد قرأ مسرحيّات شكسبير باللّغة الانجليزيّة وهو ابن الثّماني سنوات، بل وحفظ مقاطع طويلة منها[2].

وحين بدأ فرويد بعرض نظريّاته في التّحليل النّفسيّ، كان كثيرا ما يستشهد بأمثال وحكم يستقيها من مسرحيّات شكسبير، لدرجة أنّه كان يتقمص دور البطل هاملت. كما أنّه كثيرا ما اتّجه إلى شكسبير الشّاعر، ليس على الصّعيد الأدبيّ، بل كمحدّث ومحلّل ومفكّك لظاهرة أو حدث إنسانيّ نازح نحو اللّاوعيّ، وبذلك نجد أنّ «فرويد هو شكسبير المحلّل، الّذي يعرف أسباب التّحليل جيّدا، ويتقن آلياته و أبجدّياته كفنّ وعلم»[3].

إذا ما رجعنا إلى الرّسائل الّتي كان يكتبها فرويد إلى صديقه "فليس"، نجد أنّ أوّل رسالة بعث بها فرويد من فيينا كانت بتاريخ 21 سبتمبر عام 1897م

1 –Anne camille Plichart, Freud Lecteur, P 02.

2 –مارغريت ماكنهوبنت، سيجموند فرويد، مكتشف اللّاشعور، ت: سامر عرار، ط1: 1425–2004 السعودية، الرياض، ص27.

3– Ernest Jones , Hamlet et oedipe, p16

تمحورت حول ذكرى هاملت بطل شكسبير من خلال استحضاره مجموعة من الأقوال له[1].

هذه الرّسالة وغيرها، توحي بمدى تأثّر فرويد بإحدى روائع مسرحيّات شكسبير ألا وهي هاملت، وهذا ما يؤكّده لنا جونز حين قال: «ذكر هاملت في مراسلات فرويد هي دليل حيّ وقاطع على تأثير شكسبير في هذا الأخير، وليست مجرّد معرفة واطلاع من رجل مثقّف على هته الكلاسيكيّات الرّائعة»[2]، كما أعلن جونز مقترحا أنّ ميلاد التّحليل النّفسيّ لم يكن ليرى النّور لولا وجود رائعة هاملت حيث قال: «لقد ولدت النّظريّة التّحليليّة النّفسيّة إثر ميلاد مسرحية هاملت بطل شكسبير»[3].

بيّن فرويد إعجابه الشّديد بمسرحيّة هاملت لأنّها تحوي عديد الدّروس القيّمَة الّتي تتناول مسائلا عن الحياة و الموت و الشّرف. لكنّ المدهش في الأمر، أنّ فرويد تعرّض لحادث صدام مع المحلّلين حول طريقة في العلاج ذكّره بحادث هاملت وطريقته في العزف على المزمار؛ إذ إنّ فرويد غضب من تصرّف بعض المحلّلين النّفسانيّين مع مرضاهم، معتبراً طريقتهم في العلاج لا تزيد إلّا من حدّة الصراع و الضّرَر ولا تجدي نفعاً مطلقاً، وفي هذا الصّدد استشهد بهاملت حين

1- Opcit , p07.

2 -Opcit , p16.

3- Opcit , p40.

أمسك بالمزمار، فحاول أحد الرّجال مباغتته على الرّغم من عدم درايته بفنون العزف على هذه الآلة، فصاح قائلا:

«لا يمكنكم أن تجعلوا من هته الآلة الصّغيرة محدّثا لكم، فهي تحوي أصواتاً موسيقيّة و ألحانا عذبة لا يمكنكم إدراكها، فلتجعلوا منّي أنا آلة، ولتحاولوا شدّ أوتاري إن استطعتم »[1] ، وهكذا، نرى تأثّر فرويد الكبير بهاملت، لأنّه – حسب رأيه – «ملك الكلمات، ولا يعلو شأنه عن شأن أوديب الّذي يمثل التّوجه الطّفوليّ و الميل الذّاتيّ لديه»[2].

بل كان فرويد كثيرا ما يتلمّس آثاره في البطل، إذ حاول من خلال دراسته لهذه الشّخصيّة البحث «عن بقايا آثاره، عن حياته ،لكنّه في هذه الفترة لم يجسّد دور الابن، بل الأب، والد موسى، الّذي اختفى فجأة، هو دور يقدره له ويمنحه إيّاه الخيال».[3]

1 –Op.cit، p31.

2– Op.cit، p32.

3 –Op.cit، p40.

سعى فرويد إلى اكتشاف الدّلالات الباطنيّة في العمل الأدبيّ و الفنّيّ وذلك من خلال نبشه في المنطقة المظلمة الّتي أسماها اللاّشعور والّتي تحتوي على رغبات وعقد نفسيّة تولت الكوابح المجتمعيّة كبتها أو قامت المعطيات الثّقافيّة قمعها ، حينها تحاول أن تشبع بكيفيّات مختلفة ، وذلك بأن تتسامى إلى معان مقبولة يرضى عنها المجتمع فتتحول إلى أحلام ، أو شعر ، أو رسم ، أو موسيقى أو غير ذلك « فالخيال و الإبداع الأسطوريّ يكتسبان ، في نظريّة فرويد وظيفة تصعيد رغبات الإنسان اللاّشعوريّة[1] ».

ومن ثمّ ، يتنازل الإنسان عن رغباته الكثيرة انطلاقا من الضرورة الاجتماعيّة الّتي حملته على ذلك فيصرف طاقاته الغريزيّة في وجهات لاتتعارض مع العالم الخارجيّ ، فيحقق بتساميه أكبر نجاح إذا ما عرف استغلال هذه الطّاقة ، ويحصل على أقصى ما يمكن الحصول عليه « من التلذّذ من العمل العقليّ أو الفكريّ الّذي يقوم به مستخدما التّساميّ[2] » .

وبهذا ، تتمكّن هذه التّهييجات الجنسيّة من أن تجد لها استخدامات في مجالات متباينة ، ومن بين هذه الأنشطة النّشاط الفنّيّ. إذ يعتبر الفنّ شكلا من أشكال المهادنة بين مبدئي الواقع و اللّذة ، من خلال طرد تلك الدّوافع المرفوضة اجتماعيّا من وعي الإنسان [3].

1 – ليبين فاليري ، مذهب التحليل النفسي والفلسفة الفرويدية الجديدة ، ص 73 .

2– فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ص 49 .

3 – لبين فاليري ، مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة ، ص 73.

لقد اتّخذ الفنّان من مملكة الخيال ملجأ يعيش فيه بعيدا عن العالم الخارجيّ ، فيشقّ لنفسه السّعادة في فكره وقلبه .لكنها تظلّ سعادة موهومة لاحقيقيّة متمثلة ، والغريب أنّه « يعرف أنّ الأوهام أوهام ،ولكنّ معرفته هذه لم تحرمه اللّذة الّتي يحصّلها بالتّوهم [1]».

فالفنّان المبدع في رأى فرويد شخص يلجمه الواقع ويحبطه « لأنّه يريد الثّروة و القوّة و الشّرف و حبّ النّساء لكن تنقصه الوسائل للوصول إلى هذه الاشباعات . ومن ثمّ فهو يلجأ إلى التّساميّ بهذه الرّغبات و تحقيقها خياليّا [2].»

أكّد فرويد كثيرا على جدوى الفنّ ووظيفته ، إذ نصوّغ من خلاله عالما ممتعا نلوذ إليه من شقاء الحياة ، ونلمس فيه سعادة وعزاء لما حرمنا منه ، بل قد يكون خلاصنا حتّى من شبح الموت ؛ فنصنع شخصيّات لا تهاب الموت مطلقا ،وقد تختار حتّى المنيّة الّتي تناسبها « وفي الأدب وحده يمكن أن نواجه الموت بأن ندخل كل تجارب الحياة ونخرج منها سالمين لم تصب منها حياتنا بأيّ أذى[3] ».

ولكنّ هذا الملجأ الّذي لذنا إليه يظلّ مؤقتا لا ينسينا مصاعب الحياة وأعباءها الحقيقيّة وفي ذلك يقول فرويد « ولكن ، وا أسفاه فالمخدّر المخيف الّذي يغمرنا فيه الفنّ سريع الزّوال، ولئن وفّر لنا بعض الاختلاء و الاعتكاف إزاء

1- فريد ، الحرب و الحرب الحضارة و الموت ، ص 50 .

2- شاكر عبد الحميد ،الأسس النفسية للإبداع الأدبي ، ص 54 .

3- فرويد ، الحب و الحرب و الحضارة و الموت ، ص 30 .

ضـرورات الحيـاة القاسـيّة فإنّـه لـيس علـى درجـة كافيّـة مـن العمـق لينسـيا بؤسـنا الواقعيّ ، الفعليّ [1] ».

هنـاك مقـال جـدير بالـذّكر خطّـه فرويـد عـام 1907 عنـون ب "الخلـق الأدبـيّ و حلـم اليقظـة " ، إذ تصـدّر فـي بدايـة مقالـه بإشـكاليّات مفادهـا : كيـف يستطيع الفنّان أن يؤثّر فينا بهذه الدّرجة الكبيرة ؟ كيف لـه أن يحرّك فينا مشاعر لم نتوقّع يوما حدوثها ؟ إذ إنّ المبدع في ذاته – في رأى فرويد– يعجز علـى أن يعطينا جوابا شافيّا [2] .

إنّ الجواب عن هذا السّؤال لا يقدّمه لنا فرويد إلاّ في نهاية المقال ، إذ رأى أنّ سّر التّأثير يكمن فـي أنّ المبدع لا يخفـي خيالـه عنّا ، بل يلعب أمامنا لعبته ،فيجسّد لنا بشكل صريح سردا يكشف ميلنا و أحلامنا الخاّصة ، فنلمس متعتنا بتجاوز الفنّان حدود أناه إلى أنا الآخرين ، فننشد من خلال فنّه تلك البهجة العميقة الّتي « تغذّي روحنا وتهدّئ أعصابنا ، و تخفّف ضغوط الحياة عنّا ونستمتع بخيالنا دون خجل[3] ».

ولقد عقد فرويد في مقاله هذا قرابة مدهشة بين الطّفل ولعبه وبين الشّاعر ونشاطه ، فالانشغال المفضّل للطّفل لعبته « وربّما يحقّ لنا أن نقول أنّ كلّ طفل يتصرّف كشاعر ، إذ يخلق عالما خاصّا به أو بالأحرى ينقل أشياء تنتمي إلى

1– فرويد ، قلق في الحضارة، ص 29 .

2 – freud ,la création litteraire, p 04.

3 – Ibid, p 09–10.

عالمه الّذي يعيش فيه إلى نظام جديد يلبّي رغباته "من عالم واقعي إلى عالم خيالي " و يأخذه على محمل الجدّ[1] ».

و الشّاعر يقوم بنفس عمل الطّفل الّذي يلعب ؛ فهو يخلق عالما خياليّا يحمل ملامح الواقعيّة و الجدّ ، إذ يسخر مواهبه المتعدّدة في صنع عالم يختلف كلّياً عن واقعه ،لأنّ اللاّواقعيّة في العالم الشّعريّ هي تقنيّة فنّيّة تثمر نتائج بالغة التّأثير فلو أنّها « كانت واقعيّة لما أمكنها إحداث المتعة و الوصول إلى لعبة الخيال و تحويل مشاعر الحزن إلى مصدر فرح للقارئ أو المتفرّج [2] ».

و إذا ما كبر الطّفل و أضحى مراهقا فإنّه يتوقّف عن لعبه لكنّه لا يهجر بل يبحث عن نقطة ارتكاز في الأشياء الواقعيّة ، فعوض أن يلعب ، يبحث عن متنفّس لخياله « فيبني قصورا في إسبانيا ، وهو ما نسمّيه بأحلام اليقظة [3]» .

أمّا الإنسان البالغ ، فعمل الخيال عنده يصعب ملاحظته مقارنة باللّعب عند الأطفال ، فالطّفل يبدى خيالاته في اللّعب دون أن يخفيها ، أمّا البالغ فإنّه يخجل من تخيّلاته و يخفيها عن الآخرين ، إذ يغطيها كخصوصيّاته الأكثر حميميّة فهو يفضل البوح بأخطائه على البوح بخيالاته . كما أنّ الطّفل كثيرا ما

1 –Ibid, p05 .

2 – Ibid, p 05 .

3 –Ibid , p05 .

يلعب " دور الكبير " ، أمّا الرّجل فلا ينتظر منه أن يلعب بل أن ينجز شيئا في عالمه الواقعيّ [1] .

وبهذا نفهم أنّ داخل كلّ منّا نشاطا يتشابه نوعا ما مع نشاط الشّاعر« فالمبدعون أنفسهم يؤكّدون لنا أنّ كلّ إنسان شاعر ، وبأنّ آخر الشّعراء لن يموت إلاّ مع الإنسان الأخير [2] ».

و لفرويد تطبيقات على الأدب و الفنّ منها أوديب و هاملت وقد سبق ذكرهما في الفصول السّابقة ، ودراسته التحليلية للكاتب دوستويفسكي من خلال روايته " الإخوة كارامازوف " ، ودراسته لقصة جراديفا لجونسن ، وكذا بحثه في الحياة الفنان يوناردودافنشي . وسنبدأ بالكاتب الرّوائي الرّوسيّ "دوستويفسكي ".

دوستويفسكي

لقد قام فرويد بدراسة معمّقة عن الأديب الرّوسيّ " دوستويفسكي* " فقد أعطى مفاتيحا لفهم شخصيّة هذا الكاتب على ضوء بعض أعماله . وذلك من خلال بحثه الّذي قدّمه في عام 1928 .

---

1 –Ibid, p06 .

2– Ibid ; p 04–05 .

*فيدور ميخايلوفتيش دوستويفسكي (1821–19881)Fidor mithailovitch dostoivskiأكبر كتاب الروس الذي فهم عمق النفس البشرية، يتمتع بشهرة عالمية خاصة من خلال روايته " الجريمة و العقاب و"الإخوة كاراما زوف " ، بيد أن رواياته الأخرى "مذلون ومذهولون" و "الأبله "، "ورواية الشياطين "و " المراهق " على جانب كبير من الأهمية و الطرافة .

ميّز فرويد في بداية بحثه بين أربعة سمات في شخصيّته دوستويفسكي : الفنّان المبدع ، والمريض العصابيّ ورجل الأخلاق ، و المذنب الخاطئ . ليتساءل فرويد عن الكيفيّة الّتي تخرجه من هذا التّعقيد ، فيتوصّل إلى أنّ شخصيّة الفنّان في دوستويفسكي بمنأى عن كلّ ريب ف « مكانة دوستويفسكي ليست وراء شكسبير بكثير [1] »، بل قد عدّ « الإخوة كارامازوف هي أروع رواية كتب على الإطلاق ، وحكاية المفتّش الأعظم ، وهي إحدى قمم الأدب في العالم لايمكن للمرء أن يكون مبالغا عند الإطناب في الثّناء عليها[2]».

ولعلّ من الاستنتاجات المدهشة الّتي أفادنا بها فرويد إثر حديثه عن شخصيّة " المريض العصابي " ما يتعلّق بمرض الصّرع ؛ فالنّوبات الحادّة الّتي كانت تنتاب دوستويفسكي ، وما يرافقها من فقدان للوعيّ و التشنّجات العضليّة وحالات الهبوط وغير ذلك جعلته يدعو نفسه مصروعا ، ودعاه النّاس بذلك ،غير أنّ ماكان يدعى بالصّرع في نظر فرويد « لم يكن سوى أعراض لعصابه ،ويجب على هذا الأساس أن يصنّف باعتباره هستيريّا ، أي نوعا من الهستيريّا الحادّة[3]» .

وبهذا ، فقد بيّن لنا فرويد حقيقة الصّرع ، إنّه العصاب الّذي يسعى إلى تفريغ تلك التّهيجات عن طريق التّعبيرات الجسديّة ، وما النّوبة الصرعيّة إلاّ عرضا من أعراض الهستيريا ، كما أوضح لنا أنّ هناك نوعين من الصّرع

1 – فرويد ، دوستويفسكي وجريمة قتل الأب ،ص166

2– دوستويفسكي وجريمة قتل الأب ، ص163.

3– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

أحدهما عضوي إذ يعاني الشّخص مرضا في مخه فتضطرب حياته العقليّة وثانيهما تأثّريّ ،وهو شخص عصابيّ ، ينتابه اضطراب يعكس حياته العقليّة نفسها « ومن المحتمل جدّا أنّ صرع دوستويفسكي كان من النّوع الثّانيّ[1] ».

من خلال رواية الإخوة كارامازوف اكتشف تطابقا مدهشا بين الصّرع الّذي أصاب البطل القاتل في الرّواية ، وبين الصّرع الّذي يصيب كاتب الرّواية نفسها حيث قال في ذلك « وإنّها لحقيقة فذّة أنّ دوستويفسكي ينسب للقاتل نفسه مرضه هو، أي الصّرع ، كما لو أنّه كان يسعى للاعتراف بأنّ المصروع ، العصابيّ في شخصه هو قاتل الأب [2]» .

وقد توقّف فرويد عند دلالة العلاقة بين الصّرع والموت ، فتوصّل إلى أنّ النّوبة نفسها تحمل معنى الموت« إنّها ترمز إلى تقمّص شخص ميّت ، إمّا أن يكون ميّتا موتا حقيقيّا ، أو أن يكون شخصا ما يزال حيّا ولكنّ الّذي يعاني من هذا المرض يودّ أن يراه ميّتا [3]» .

وراح فرويد يستفيض في تحليله لنوبات صرع الكاتب ، فوجد أنّ النّوبة تحمل في دلالتها قيمة العقاب ؛ أي عقاب للذّات على تمنّيها في موت شخص معيّن ، إنّها « بالنّسبة للصّبيّ هو عادة أبوه ، وأنّ النوبة (الّتي تدعى هستيريّة) هي بهذا الاعتبار عقاب للنّفس على رغبتها في الموت ضدّ أب مكروه[4] » .

1- المصدر السابق ، ص 168 .

2- المصدر نفسه ، 177 .

3 - المصدر نفسه ، ص 170 .

4- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

إنّ هذا الصّراع الذي أصاب دوستويفسكي ناجم عن عرض العصاب وقد تقصّى فرويد هذا المرض الّذي ألمّ بالكاتب منذ طفولته فوجد أنّه قد « اعتاد وهو صغير، أن يترك ورقة قبل أن ينام يقول فيها أنّه يخشى الموت ، وترمز هذه الحادثة إلى تقمّص شخص يودّ الطّفل أن يراه ميّتا ، هو أبوه[1]» ، أي إنّنا نفهم من هذا أنّ دوستويفسكي يئنّ لاشعوريّا تحت عقدة أوديب .

إنّ علاقة الطّفل بوالده علاقة مزدوجة ؛ إنّه يكره أباه ويسعى إلى التّخلّص منه كونه منافسا له من جهة ، ويحبّه ويعجب بشخصيّته ويودّ أن يكون مثله من جهة آخرى وهذا ما يجعله يتقمّص الأب [2] .

وما النّوبات الّتي تنتاب الرّوائيّ إلاّ أعراضا شبيهة بالموت تفهم على أنّها تقمّص للأب « فبالنسبة للأنا يكون عرض الموت إشباعا في الخيال للرّغبة الرّجوليّة وهو في الوقت نفسه إشباع ماسوكيّ * ، وبالنّسبة للأنا و للأنا الأعلى هو إشباع عقابيّ – أي هو إشباع ساديّ*– وكلّ من الأنا والأنا الأعلى يتابع بدور الأب [3]».

1– بن حلي عبد الله ، الفكر الفرويدي و أثره في التراث العربي ، ص 79 .

2– فرويد "دوستويفسكي وجريمة قتل الأب" ، ص 170 .171 .

* ماسوكي : أو مازوخي انه شذوذ جنسي يرتبط فيه الإشباع بالعذاب والألم وبالإذلال الذي يلحق بالذّات ، ينظر معجم مصلحات التحليل النفسي ص 714 .

* السادي : انه شذوذ جنسي يرتبط فيه الإشباع بالتعذيب أو الإذلال الذي يصب على الآخر ينظر معجم مصلحات التحليل النفسي ص 470 .

3– المصدر نفسه ، ص 173 .

وقد شدّ انتباه فرويد ما وجده في الرّوائع الأدبيّة الخالدة ، فجلّها تشترك في الموضوع نفسه ألا وهو موت الأب ؛ حيث يقول في ذلك « وليس من قبيل الصدف أنّ ثلاثة من روائع الأدب في كلّ زمان ، وهي " أوديب ملكا " لصوفوكليس و"هاملت" لشكسبير و " الإخوة كارمازوف" لدوستويفسكي ، تتناول جميعها موضوعا واحدا : هو قتل الأب [1]».

أمّا في حديث فرويد عن شخصيّة دوستويفسكي الأخلاقيّة ، فقد رأى أنّ الإنسان الأخلاقيّ الحقّ هو من يرفض الغواية ولا يستسلم لها ، أمّا هذا الرّوائيّ الرّوسيّ فقد كان يغرق في الذّنب ثمّ يندم « وهذا الأسلوب في الأخلاق خصّيصة روسيّة أصيلة[2] ».

وقد أرجع فرويد احتمال استسلام دوستويفسكي للغواية وعدم صموده أمامها إلى مرضه النّفسيّ "العصاب" ، إذ كان بإمكانه أن يتحاشى هذا الإخفاق وأن يفتح بعظمة ذكائه وقوة حبّه للإنسانية « طريقا آخر في الحياة ، هو طريق الرّسول[3]» .

أمّا السّمة الثّالثة الّتي أبانها فرويد في دوستويفسكي فهي صفة المجرم الخاطئ ، إذ توصّل إلى هذا الوجه من خلال المادّة الرّوائيّة الّتي اختارها الأديب في مؤلّفه ، حيث انتقى الشّخصيّات العنيفة القاتلة الأنانيّة ، وهذا الانتقاء إنّما

1- المصدر السابق ، ص 176 .
2 - المصدر نفسه ص 163 164 .
3- المصدر نفسه ، ص 164 .

يعكس اتّجاهات شبيهة في داخل نفسه ، فضلا عن حماسه للقمار واعترافه باغتصاب فتاة صغيرة ، ومن ثم فغريزة التّدمير موجودة بقوّة في شخصه ، وهذا ماسهّل له أن يكون مجرما ببساطة تامّة [1].

إذن ، لقد كان دوستويفسكي ساديّا ويتجلّى هذا في حبّه للإيذاء وعدم عفوه حتّى عن الّذين يحبهم ، زيادة على الطّريقة الّتي كان يعامل بها قرّاءه ككاتب متميّز ، فهو ساديّ تجاه الآخرين وتجاه حتّى نفسه ، كما كان أيضا ماسوكيّ الشّخصيّة ، وهذه الماسوكيّة في حقيقتها ماهي إلاّ كونه « أطيب وأرقّ شخص ممكن ، وأكثر النّاس حبّا للمساعدة [2]».

ولقد عزّز فرويد ملاحظاته بأن ساق لنا مقتطفات من الرّواية تثبت شخصيّة الكاتب الإجراميّة ، فالأب "زوسيما " أثناء حديثه مع البطل "ديمتري" يجثو على ركبتيه ، وكأنّه يبارك للقاتل فعلته ، وهذا المشهد يوحي بتعاطف الكاتب مع المجرم، إنّه في نظره « يكاد يكون فاديا مخلّصا أخذ على نفسه حمل الذّنب الّذي لولاه لكان على الآخرين أن يحملوه[3] » .

بل إنّ عطف الرّوائيّ على المجرم لا يعكس شفقة بريئة فحسب ، بل يوحي بتقمّص لدوافع إجراميّة مماثلة وجّهته في اختيار مادّته ، إذ عالج المجرم

1 – المصدر نفسه ، ص 165 .

2 – المصدر السابق ، ص 165 .

3– المصدر نفسه ، ص 178 .

العام ، والسّياسيّ ، وحتّى الدّينيّ « ولم يعد إلاّ في نهاية حياته إلى المجرم الأوّلي قاتل الأب ، فاستخدمه في عمل فني من أجل أن يدلي باعترافه هو[1]» .

ومن ثمّ ، فقد تساوى المجرم القاتل والكاتب الّذي حمل نيّة القتل في فعل الجريمة ؛ إذا يحدث أن « يساوي الإنسان بين ارتكاب الشّر وتمنّيه ، ويعادل الأفعال الشّريرة بالّنوايا الشّريرة ، فيحسّ الذّنب ويشعر بالحاجة إلى العقاب [2]» .

وقد أوضح لنا فرويد أنّ التّحليل النّفسيّ لا يبحث عن مرتكب الجريمة بل من رحّب بها و رغبها رغبة عاطفيّة عندما اقترفت « ولهذا السّبب فإنّ الإخوة كلّهم ، فيها عدا نقيضهم أليوشا ، متساوون في الذّنب »[3] .

من خلال مذكّرات زوجة دوستويفسكي ، التقط فرويد معلومات مكّنته من فهم نفسيّة الرّوائيّ و الولوج إلى أعماقه أكثر ، فقد شكّل دوستويفسكي من القمار وماخلّفه من ديون سابقة أسلوبا لتعذيب ذاته ، وكان كلّما عاد إلى زوجته عاد خاسرا معنّفا ومهينا ومحتقرا نفسه أمامها ، ثم يشعر بعد ذلك بالرّضى ويرتاح ضميره من عبء الذّنب ، ولا تلبث الحكاية أن تعود إلى مجرها في اليوم الموالي[4].

1- المصدر نفسه ، ص 178 .179 .

2 - فرويد ،الحب والحرب والحضارة والموت ، ص88 .

3- فرويد ، دوستويفسكي وجريمة قتل الأب، ص 178 .

4-المصدر السابق ، ص 179 .

وقد لاحظت زوجته أن بعد كل خسارة له ، وبعد أن يرهن جميع مقتنياتها فإنّه يعود بحرارة إلى إنتاجه الأدبيّ ، وقد فسّر فرويد هذا التّصرف أنّه حين« يكون إحساسه بالذّنب قد أشبع بواسطة العقوبات الّتي سام بها نفسه فإنّ الكف عن عمله الأدبيّ يصبح أقلّ حدة ، وبذلك يسمح لنفسه أن تخطو بضع خطوات على طريق النّجاح[1] » .

وبهذا كان إحساس دوستويفسكي بالذّنب هو الّذي يدفعه إلى التّألّق والتّأليف بل أضحى هذا الإحساس هو أساس الحضارة وتقدّمها ، وهذا ماكشف عنه المحلّل حين قال : « وغايتي أن أصوّر الشّعور بالذّنب بوصفه أهمّ موضوع في عمليّة ارتقاء الثقافة ، ولكي أقول أنّنا نقتضي ثمن تقدّم الحضارة من سعادتنا بتقويّة مشاعر الذّنب فينا[2] » .

إنّ هذا الإحساس بالذّنب هو الّذي أدّى بالرّوائي إلى الصّرع كعقاب له ، لكنّه عندما كان في سيبيريا قلّت نوبات الصّرع عنده ، لأنّه عوقب بطريقة أخرى ؛ فقد سجن ظلما كمجرم سياسيّ فقبل بذلك « كبديل للعقاب الذي يستحقّه تلقاء خطيئته بشأن أبيه الحقيقيّ . وبدلا من أن يعاقب نفسه جعل نفسه تنال العقاب على يدي وكيل أبيه[3]» .

1- المصدر نفسه ، ص 179 180 .

2- فرويد ، الحب والحرب والحضارة والموت ، ص 95 .

3 - فرويد ، دوستويفسكي وجريمة قتل الأب ، ص 175.174 .

وهكذا ، فقد عاش الرّوائيّ دوستويفسكي حياته بأكملها دون أن يتحرّر قط من مشاعر الذّنب الناتجة عن رغبته المكبوتة في قتل أبيه . إنّ هته المشاعر هي الّتي حدّدت موقفه تجاه سلطة الدّولة حيث خضع خضوعا تامّا للقيصر ، وكذلك تجسّدت هذه المشاعر تجاه موقفه الدّينيّ ، حيث ظلّ يتأرجح حتّى آخر لحظة من عمره بين الإيمان والإلحاد [1].

إنّ دراسة فرويد للإخوة كارامازوف ، وتحليله لشخصيّة مؤلّفها ، قد تعرّضتا لكثير من المعارضة و التّفنيد ، إذ اعتبرت هذه الدّراسة متعسّفة ، تقفز من مقدّمات عابرة إلى نتائج كبيرة « وهي سمة وخاصيّة أساسيّة في التّحليل النّفسيّ الفرويديّ التّقليديّ إلى حدّ كبير[2] » .

وقد كتب "تيودوررانك " في مجلّة إيماجو Imago معلّقا على مقالة فرويد أنّها « غير متماسكة من حيث شكلها وتفتقد التّجانس أو التّوازن العضويّ[3] ».

وقد رجّح مانجو E.GMango على أنّ « الرّوائيّ الرّوسيّ الرّومانسيّ لا يستهوي فرويد في قراءته ، بل كان مجرّد موضوع بحث في أحد كتاباته معنونا ب "دوستويفسكي وقتل الأب "Dostoivski et le paviade " الّذي نشر سنة 1928 [4]» ، أي أنّه مجرد عمل إيديولوجي قام به .

1- المصدرالسابق ، ص 175 .

2- شاكر عبد الحميد ،الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة ، ص 55 56 .

3- المرجع نفسه، ص 77 .

4 –Anne camille , Freud lecteur p 02

كما أنّ من الانتقادات الكبيرة الّتي وجّهت إلى فرويد هو تركيزه على شخصيّة المجرم و المريض في دوستويفسكي مهملا الوجهين الإيجابيّن فيه الفنّان و الأخلاقيّ إذ إنّ « الجانبين السلبين : العصابي _ الخاطئ هما اللّذان استأثرا بجلّ اهتمام فرويد ، أمّا الجانبان الإيجابيّان فلم يوجّه فرويد أيّ اهتمام لهما مكتفيا فقط بالقول بأنّ مكانه دوستويفسكي الفنّية ليست موضعا للشّك أبدا ، و أنّه يقف في تاريخ الأدب العالميّ على قمّته و بجوار شكسبير، ثمّ يحاول عكس الحقائق الخاصّة بالجانب الأخلاقيّ لدى دوستويفسكي ثم يتفرّغ بعد ذلك لإظهار كلّ الجوانب السّلبيّة المرضيّة في شخصيّة هذا الكاتب الكبير[1] ».

غراديـــفا لجونـــسن

لقد سعى فرويد إلى تفسير عمليّة الإبداع الفنّيّ ، و إلى بيان الكيفيّة الّتي بنى بها الرّوائي روايته ، ويعدّ تحليل فرويد لرواية "جراديفا " Gradiva أوّل محاولة من نوعها في هذا المضمار. وقد نشرت تحت عنوان " الهذيان والأحلام في جراديفا "سنة 1903 .

لقد خطا فرويد خطوة باعثة على الدّهشة ، إذ لم يحلّل الأحلام الّتي يراها مرضاه فحسب ، بل قام بتحليل ودراسة الأحلام الّتي لم تحلم قط ؛ أي تلك الّتي ينسبها الكتّاب إلى أبطال قصصهم ، منطلقا في ذلك من أنّ لكلّ حلم معنى وأنّه قابل للتّأويل أيضا ، فإذا كانت « الأحلام الحقيقيّة لاتعرف من كابح أو قانون

1- شاكر عبد الحميد الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة ص 78.

فكيف هو، والحال هذه شأن المحاكاة الحرّة لهذه الأحلام في القصص الخيالية ! [1]» .

وهذا ما صرّحه أيضا في موطن آخر حين قال :« أمكنني أن أبين من قصّة قصيرة كتبها " و. جنسين " هي "غراديفا " الّتي لاقيمة لها في ذاتها ، أنّ الأحلام المختلفة يمكن تأويلها على نحو تأويل الأحلام الحقيقيّة ، وأنّ العمليات اللاّشعورية المألوفة لنا في " إنتاج الحلم " تتمّ على النّحو نفسه كذلك في عمليّات التّأليف الخياليّ [2]».

لقد سرد فرويد قصّة غراديفا لجنسن * كما هي ، ثمّ أعقبها بعد ذلك بتحليلاته وتمحيصاته ، وسأحاول تلخيصها ما أمكن .

كان هناك شاب اسمه هانولد ،عالم آثار، أعجب بمنحوته لفتاة حسناء كانت إحدى قدميها تلامس الأرض ، والأخرى على وشك الانطلاق لا تمس الأرض إلاّ بطرف الإبهام . فافتتن الشّاب بهذه المشية الرّشيقة ووقع أسيرا لها . وقد أطلق على هذه الشّابة اسم "غراديفا " أي الّتي تتقدّم ، وراح من خلال علمه بالعصور القديمة يبحث عن النّموذج الأصليّ لهذه المنحوتة

1- فرويد، الهذيان والأحلام في الفن، ص 07 .

2 - فرويد ، حياتي والتحليل النفسي، ص 98 .

*ويلهلم جنسن : كاتب ألماني توفي سنة 1911،هو غيريوهان فلهلم ينسن الكاتب الدنيماركي ، الحائز على جائزة نوبل للآدب سنة 1944 .

بسبب تفكيره العميق بهذه الصّبيّة ومشيتها أخذته الأحلام و الأوهام إلى مدينة بومباي القديمة** ، وشهد هناك ثوران البركان الّذي طمر كلّ شيء ، وطمر معه الصّبيّة البومبيّة الّتي رآها في منحوتته.

وعند استيقاظه ، آمن بواقعيّة هذه الأحلام ، وتشبّث بتصوّراته عن غراديفا ، وراح يبكيها ويبحث عنها ، بدأت رحلته الحقيقيّة الّتي تمتزج بما رآه من أحلام وتصوّرات ، إلى أن يلتقي بها في مدينة بومباي . وبعد لقاءات كثيرة تزوّجها ، ولم تكن هذه الفتاة في حقيقتها سوى جارته وصديقة طفولته الآنسة "زويه".

في أوّل تحليل لفرويد ، انطلق من أنّ البطل نذر نفسه لعلم الآثار وأدار ظهره لمباهج الدّنيا وزينتها ، وهذا ماجعل البطل ينشط خياله لا في المنام فحسب بل أثناء اليقظة « وكان انفصال الخيال هذا عن الفكر المنطقيّ يرشّحه لأن يصبح شاعرا أو مريضا عصابيّا[1] » .

إن انطلاق فرويد من فرضيّته المعهودة في جعل البطل هانولد مريض يئنّ تحت رغبات طفوليّة مكبوتة ، قد استقاها من طفولة الصّبيّ الّذي كان صديق الآنسة زوية ، لكن سرعان ما اضمحلت هذه الذّكريات وطوتها يد النّسيان ، ولكن

** بومباي (بإيطاليا) : هي مدينة رومانية ، كان يعيش فيها حوالي عشرون ألف نسمة ، و اليوم لم يبق من المدينة إلا آثارها القديمة ، تقع المدينة على سفح جبل بركان فيزوف ، فثار هذا البركان ثورانا هائلا ، طمر المدينة بالرماد لمدة 1.600 سنة ، حتى تم اكتشافها في ق 18 .

1- المصدر السابق ، ص 14 .

هذا لايعني أنّها محيت وانطفأت « إذا يكفي أن تتواجد تشابهات بسيطة ، طفيفة حتى تتحرّك هذه الحياة النفسية وتنشط من خلال السّلطة الكابتة و بأمرها[1] ».

إنّ الطفل هانولد – حسب تصريح فرويد– قد هرب من اندفاعاته الجنسيّة المتصاعدة ، و أكبّ على دروسه بحماس شديد ، وغرق في دراسة علم الآثار، إلى أن تجلّت أمامه يوما منحوتة قديمة كانت كافية لإيقاظ كلّ ماكان حبيسا منتظرا الفرصة لينعتق وتشبع مطالبه، لقد كان « قدره المستحق أن يتولّه بحبّ صورة غراديفا الحجريّة ، ومن ورائها – بحكم تشابه غامض – زوية العاشقة المهجورة الّتي تستعيد على هذا النّحو سلطانها [2]» .

وقد اكتشف فرويد أنّ الاسم الّذي أطلقه هانولد على منحوتته بغراديفا ، لم يطلقه خيال البطل مصادفة ، بل قد اشتقّه من ترجمة لاسم عائلة صديقة طفولته « هذا الاسم الّذي كان هانولد قد كبت لفظه [3]».

وإذ يواصل فرويد تحليل رواية غراديفا بكلّ تعقيداتها و تشابكاتها ، يتوقّف ذات لحظة ليتساءل كيف أنّه انساق بعد أن كانت نيته الأولية سبر حلمين أو ثلاثة في الرّواية ، انصرف إلى تفكيك القصّة ، ورصد التّطورات النّفسيّة لبطليها ؟! ، ذلك لأنّ فرويد تعامل مع بطلي الرّواية و كأنّهما شخصان واقعيّان من لحم

1- المصدر نفسه ، ص 39 .
2- المصدر نفسه ، ص 40 .
3- المصدر نفسه ، ص 42 .

ودم ، وليسا من صنع المخيّلة الشّعريّة فراح يسبر غورهما وينقب في ماضيها وطفولتهما الخاصة [1].

وهذا ماذكره فرويد حين اتّخذ من عمل جونس ومن أحلام أبطاله ما يؤكّد صحّة نظريّته في التّحليل النّفسيّ في علاج مرضاه وتفسير أحلامهم وهاهو نصّه يقول فيه :

« لقد عثرت بالصدفة في رواية "جراديفا " للكاتب ف. ينزن على أحلام متعدّدة خلقها المؤلّف خلقا ، ولكنّها كانت مع ذلك صحيحة كلّ الصّحة في بنائها وأمكن تفسيرها كما لو كانت صدرت عن أشخاص حقيقيّين ولم تكن من بدع الخيال . وقد ذكر لي المؤلّف ردّا على سؤال من جانبي أنّه لم يكن يعلم شيئا عن نظريّتي في الحلم . ولقد اتخذت من هذا النّطاق بين مباحثي وخلق الكاتب شاهدا على صحّة تحليلي للأحلام[2] ».

ولقد أثنى فرويد على هذه القصّة ، إذ إنّ الرّوائيّ قدّم دراسة طبنفسانيّة وذلك من خلال سرده لتاريخ مرض البطل النّفسيّ وشفائه منه ، وكأنّه بذلك قدّم لنا مبادئ علم النّفس المرضيّ « وإنّه لأمر يبعث على الدّهشة أن يتمكّن روائيّ من إنجاز مثل هذه المهمّة [3]».

1- المصدر السابق ، ص 46 .

2- فرويد ، تفسير الأحلام ،ص 127 .

3- فرويد الهذيان و الأحلام في الفن ، ص 47 .

ثـمّ رأى فرويـد أنّ تجسـيد الحيـاة النّفسـيّة الإنسـانيّة هـو ميـدان اختصـاص الأديب قبل رجل العلم ، وقبل العالم النّفسـيّ أيضـا ، بل إنّ بمستطاع« الرّوائـيّ أن يعالج موضوعا طبنفسانيّا بصوابيّة تامّة من دون أن يفقده شيئا من جماله ».

وقد عالج فرويد نقطة بالغة الأهميّة ، وذلك من خـلال تصـرّف هانولد ؛ إذ إنّ هذا الأخير لا تثير أيّ امراة حيّـة اهتمامـه ، بقدرما أثاره تمثال من حجر[1] . وهذه هي النّقطة الرّئيسة الّتي يلج عبرها المحلّل لدراسة موضوعه.

إنّ هانولـد لا يختلـف فـي طفولتـه عـن أقرانـه ، إذ كانـت تجمعـه صـداقة حميميّة بفتاة صغيرة لا يفارقها أبدا ، بل كان يتقاسم معها طعامها ويتبادلا خفيف الضّربات واللّطمات « وفي مثل هذا النّوع من الارتباط ، فـي مثل هذا المزيج من الحنـان و العدوانيّـة تتجلّـى إيروسيّة الطّفولـة . وإن يكـن تعرّفهـا فـي طـور الطّفولـة بالذّات غير متاح إلاّ للطّبيب والرّوائيّ[2] ».

وبـهذا يبدو أنّ الفتاة الصغيرة قد تميّزت في أيّام صباها بهذه الرّشاقة فـي المشية ، وما أخذت المنحوتة القديمـة « فـي نظر هانولد ذلك المغزى الكبير إلاّ لأنّها تصوّر تلك المشية بالذّات[3] ».

1- المصدر نفسه ، ص 49 -50 .

2- المصدر السابق ، ص 52 .

3- المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

إنّ باكتشاف هانولد لهذه المنحوتة أيقظت فيه تلك الإيروسيّة الغافية وبثّت في ذكرياته الطّفولية حيويّتها ونشاطها ، إلا أنّ المقاومة اعترضت سبيلها وجعلت من هذه الذّكريات عاجزة عن الخروج قابعة في اللاّشعور ، ومن ثمّ حدث الصّراع بين الاندفاعات الإيروسيّة وبين القوى الكابتة ، ونتج عنه ما يسمّى بالهذيان [1].

لقد عقد فرويد مقارنة بين انطمار بومباي وبين انطمار ذكريات هانولد الطفولية ؛ إذ رأى أنّ هناك تشابها ملحوظا بين ما آلت إليه ذكريات صباه ، وبين ذلك الماضيّ الكلاسيكيّ « فانطمار بومباي ، أي ذلك الاندثار الّذي حافظ على الماضي، يفسح في المجال واسعا للمشابهة مع الكبت الّذي يحسّ به هانولد إحساسا نفسيّا باطنيّا [2] » . وبهذا نفهم أنّ هانولد قد استبدل ذكريات طفولته المنسيّة بالماضيّ التّاريخيّ السّحيق .

كما فسّر فرويد أحد أحلام هانولد الّذي رأى فيه أنّه يقطن بالمكان نفسه الّذي تعيش فيه صاحبة التّمثال البومبيّة ، إذ فسّره المحلّل على أنّه ضرب من التّحوير من خلال تغيير المكان ، ولكن ليست غراديفا هي الّتي انتقلت إلى عصرنا ، بل الحالم نفسه هو المنقول إلى عصرها . وقد قال في ذلك «غراديفا تقطن وإيّاه في مدينة واحدة ، وتعيش وإيّاه في عصر واحد ، وهذا السبيل إلى اللّجوء إلى تنكير جديد " أنت تعيش في بومباي في زمن غراديفا "[3] .»

1- المصدر نفسه ، ص 55 .

2- المصدر نفسه ، ص 57 – 58 .

3 – المصدر السابق ، ص 67 .

وبهذا ، فقد استيقظ حبّه في حلمه الّذي سعى إلى إحياء ذكرى حبيبته على مستوى الشّعور، و إلى إنقاض الحالم من هذيانه ، إلاّ أنّ هذا الحنين حرّف وتحوّل إلى حصر « وعلى هذا النّحو ينقلب جوهر الحلم اللاّشعوري ، أي حنين الحبّ إلى زوية الّتي عرفها فيما غبر من الأيّام إلى المضمون الظّاهر التّالي : انطمار بومباي وهلاك غراديفا [1]».

إنّ هذا الهذيان كان لابدّ من علاجه ، ومن ثمّ تدخل زويه في ثياب الطّبيب لتحرّر حبيبها من هذيانه ، إذا أخذت على عاتقها القيام بعمليّة الشّفاء وقوام هذا العلاج أن تعيد إلى هانولد ذكرياته الطّفولية المكبوتة و أن تحرّرها إلى الخارج . وهذا ما يسمّى بالتّطهير ؛ إذ يقوم « على إرجاع اللاّشعور الّذي ينشأ المرض عن كبته إلى الوعي بالقوّة إن جاز التّعبير ، وهذا بالضّبط ما تفعله غراديفا بالنّسبة إلى الذّكريات المكبوتة من طفولته هانولد[2] » .

وبهذا فقد ختم جنسن قصّته بنهاية سعيدة ، كان مآلها زواج هانولد بزويه ؛ إنّها نهاية معهودة حسب رأي فرويد وذلك « استرضاء لقارئاته بلا أدنى ريب [3]» .

ويخرج فرويد بملاحظة ثمينة ، في كون المحلّل النّفسانيّ والأديب الرّوائيّ ينهلان من معين واحد ، حيث قال في ذلك « وأغلب الظّن أنّنا نمتح من معين

1- المصدر نفسه ، ص69 .
2 - المصدر نفسه ، ص 101 .
3- المصدر السابق ، ص 98 .

واحد ، ونجبل من طينة واحدة ، كلّ بوسائله الخاصة ، و يأتي تطابق النتائج شاهدا على أنّنا كلينا قد أحسنا العمل على مايبدو [1]».

ليوناردو دافنشـــي

لقد ناقش فرويد العديد من المسائل و القضايا المتعلّقة بالفنّ و الإبداع فكانت لكتاباته نكهة خاصّة بالنظر إلى جرأتها و اقتحاميّتها وإثارتها للأفكار والتّساؤلات .

و لعلّ من أكثر كتاباته إثارة للجدل دراسة الّتي خصّصها لتحليل شخصيّة الفنّان ليوناردو دافنشي * Leonardo Davinci ؛ إذ جعل من لوحاته الفنّية ناطقا للسّيرة الذّاتية لمبدعها ، و مفتاحا يكشف عن كلّ ما يساور هذا الفنّان من خلجات و انفعالات متصارعة تحت طبقة اللاّشعور .

انطلق فرويد في بحثه هذا من التّأكيد على الأهميّة البالغة لدور ذكريات الطّفولة وأحداثها في بلورة شخصّية الإنسان ، إذ يلفت فرويد انتباهنا إلى الدّراسة الّتي أجرها على إحدى ذكريات ليوناردو المبكرة ، والّتي ذكرها هذا الأخير في مذكّراته العلميّة حين قال « في بدء حياتي ، بينما كنت في مهدي ، إذ بنسر يهبط علي ، ويفتح فمي بذيله ثمّ يلطمني به عدّة مرّات على شفتي [2]» .

1- المصدر نفسه، ص104 .

* ليوناردودافنشي (1452 . 1519) كان موسوعيا رساما ، مهندسا ، عالم نبات ، عالم خرائط بيولوجيا موسيقيا ، نحّاتا معماريا و عالما إيطاليا .

2- فرويد، ليوناردودافنشي ، ص 58 .

لقد عاد فرويد إلى الماضي البعيد في تحليل هذا التّصور ، و ربط بين تخييل ليوناردو وبين فترة الرّضاعة و اعتماده على ثدي أمّه « فقد فسرنا هذا التّخيل بأنّه يمتصّ ثدي أمّه الّتي حلّ محلّها النسر[1] »، وقد أخذ هذا التّفسير من القدماء المصريين حين كانوا يرمزون للأم بالنّسر ، إذ اعتقدوا أنّ هناك أنثى النّسر فقط ولاوجود لذكور في هذه الفصيلة إذ إنّ الطّيور كانت تفتح مهبلها فيحدث الإخصاب بواسطة الرّيح دون حاجة إلى ذكر.[2]

توصّل فرويد إلى أنّ ليوناردو بتذكّره لهذا الحلم ، إنّما كشف عن رغبة لاشعوريّة في سن طفولته الأولى ، فاستبدال أمّه بالنّسر يوحي أنّه عاش وحيدا مع أمّه محروما من أبيه ، حيث قال في ذلك « ويؤيّد شرحنا العوامل الكثيرة الّتي حدثت له في هذه الفترة فلقد تزوّج والده من دونا أليرا في نفس سنة ولادته ، ولم تنجب هذه السيّدة ذات السّلالة الطيّبة أي أطفال ، ممّا دعاهم لإحضار ليوناردو [3] » .

أبان فرويد إلى أنّ ليوناردو كان لديه نهم عارم نحو العلم و البحث وحب الاستطلاع و المعرفة ، حتّى أنّه سمي « بفاوست الإيطالي نظرا لعطشه الدّفين ومثابرته على المعرفة [4]»، وهذا ما أدّى إلى كبت ميولاته الجنسيّة

1- المصدر نفسه ، ص65 .

2 - المصدر نفسه ، ص 64 .

3 – المصدر السابق ، ص 68.

4 – المصدر نفسه ، ص 51.

والتّسامي بهذه الطّاقة نحو أهداف أسمى ، و على هذا الأساس« نجد أنّ مثل هذا الشّخص سيهب نفسه للبحث بنفس العاطفة الّتي سيهبها غيره للحبّ [1]».

ويواصل فرويد في تفسيره لهذا الكبت الجنسيّ وتسامي ليوناردو به ، إذ أورد أنّ هذا الفنان كان يحرص على اختيار تلاميذه على أساس الجمال و الأناقة لاعلى أساس الموهبة و التّميّز، و كان يرعاهم ، و يحنو عليهم ويمرّضهم « كأنّه أم تعتني بأطفالها و كأنّما أمّه تعوده أثناء طفولته [2] ».

بل ويتمادى فرويد في تحليله استجناس ليوناردو، فيشير إلى أنّ حياته كانت خالية من أي علاقة عاطفيّة مع أيّة امرأة ، فحدث له انزلاق نحو المرحلة الشبقيّة الذّاتية ، إذ إنّه كان محبّا للأطفال ، وما هذا الحب في حقيقته إلاّ صورة استبدالية لطفولته ، فأحبهم كما أحبته والدته في صغره ، فأضحى يختار مادّة حبّه بأسلوب نرجسيّ تنعكس فيها ذاته عليها و كأنّ الرجل أيضا « أصبح لوطيّا لاشعوريّا مثبتا لصورة أمّه التّذكاريّة[3] ».

وقد وقف فرويد عند لوحة ليوناردو الشّهيرة " الموناليزا "، والّتي قضى فيها هذا الفنّان أربع سنوات في رسمها بعد أن تخطّى سنّه الخمسين ؛ إذا إنّ هذه المرأة الفلورنسية أثارت فيه ذكريات والدة طفولته ، و أصبحت ابتسامتها الّتي وجدها فيها مرّة ثانية تسيطر على جميع أعماله التّصويريّة حتّى أطلق عليها "

1- المصدر نفسه ص 53

2- المصدر نفسه ، ص 79

3- المصدر نفسه ، ص 82 .

ليوناردیسك " Leonardisque ، حيث قال فرويد في ذلك « فمن الممكن أن يكون سرّ افتتان ليوناردو بابتسامة الموناليز أنّها أيقظت في نفسه شيئا كان راقدا في سبات عميق في عقله كذكرى قديمة [1]».

كما تحدّث فرويد عن لوحة " المادونا و الطّفل و القدّيسة " ، ورأى أنّها تركيب تاريخيّ لحياة ليوناردو الخاّصة فقد ولد عند أمّه وبقى عندها إلى احتضنته زوجة أبيه العاقر ، فكانت اللّوحة تعبّر عن طفل في رعاية والدتين لهما العمر نفسه و تعلوهما هذه الابتسامة المميّزة [2].

ومن الأمور الّتي شدّت انتباه فرويد وهو يحلّل شخصيّة هذا الفنان هو نزوع هذا الأخير إلى عدم إتمام لوحاته ، وقد افترض فرويد أنّ السّبب يعود إلى اعتقاد لاشعوريّ أنّ والده أهمله في طفولته ، ولم يهبه عنايته الكاملة ، فسلك ليوناردو تجاه لوحاته المنحى نفسه ؛ فقد كان هذا الفنّان الخالق يحسّ بأبوّته تجاه صوره ، فتقمّص شخصيّة أبيه وأضحى يرسم اللوحة و يتركها دون اهتمام و لا إتمام مثلما كان يفعل والده ، إنّها قوّة قهريّة فيه « نشأت عن انطباعات سنى الطّفولة الأولى ، وماكبت ونفي في اللاّشعور لا يمكن إصلاحه بما يحدث في وقت متأخّر [3] » .

1 – المصدر نفسه ، ص 95 .

2– المصدر نفسه ، ص 101 .

3– المصدر نفسه ص 111

ويسترسل فرويد في تفسير تقمّص ليوناردو لشخصيّة والده وذلك من خلال نبذه للسّلطة و النّظر إليها نظرة دونيّة ، ونبذ كلّ ماهو تقليد للقدماء وولهه الكبير تجاه الّطبيعة ومعرفة أسرارها « و إذا حاولنا ترجمة التّجريد العلميّ إلى خبرة عيانية ، فسنرى أنّ القدماء و السّلطة يعبّران عن والده ، و أنّ الطّبيعة ماهي إلاّ الأمّ الحنون الّتي أطعمته[1] ».

1 - المصدر نفسه ص 113 .

إنّ فرويد الّذي أسّس علم التّحليل النّفسيّ ، كان لا يقتصر تأثيره على النّواحي الطّبية و النّفسيّة فحسب ، بل تعدّاه إلى عالم الأدب و الفن .

فالكثير ممّن نظموا القصائد وصاغوا المسرحيّات ورسموا اللّوحات ، أخذوا الكثير من هذا الرّجل الّذي فتح الآفاق أمامهم لإدراك العقل الباطن وما يحويه من أسرار مخبوءة .

لقد أمدّ فرويد الأدب بأفكار ونظريّات جديدة سبرت النّص ، و اخترقت أغواره المظلمة ، ولمست مناطق أبعد و أعمق في نفسيّة الكاتب . كما بحثت عن عقده المكبوتة ورغباته الدّفينة الّتي تحقّقت في عالمه الخيالي .

بل إنّه لم يبحث عن الآليّات الشّعوريّة الّتي تخبئ وراء هذا الإنتاج الأدبيّ فحسب، بل إنّه رصد حتّى الأثر الانفعاليّ الّذي أحدثه هذا العمل أو ذاك في متلقّيه ، بل وحدّد موقع ذلك الأثر في المجتمع و الحضارة معا .

ومن ثمّ حاول رائد التّحليل النّفسيّ أن يلمس إمكانات التّحليل النّفسيّ في تفسير الأعمال الأدبيّة و الفنيّة ، ولكنّه تطلّع إلى أكثر من ذلك ؛ إلى تفسير عمليّة الإبداع الفنّيّ ، و إلى الكيفيّة التّي شكّل بها الفنّان عمله.

ورغم كل ماقدّمه فرويد للأدب ، إلاّ أنّ البحث الّذي بين أيدنا يحمل مرآة عاكسة ، تعكس أثر الأدب و الفنّ وفضلهما على فرويد ، وعلى التّحليل النّفسيّ أيضا ، و كأنّنا نجد أنفسنا أمام لعبة تبادليّة يلعب الفنّ و الأدب فيها دورا أساسيّا في التّحليل النّفسيّ ، في المقابل يلعب التّحليل النّفسيّ دورا أساسيّا في فهم تلك الأعمال .

ملحق بالتواريخ :

1856 : ولد فريد في بلدة بريبور بمنطقة مورافيا التابعة آنذاك للإمبراطورية النمساوية ، والتي هي الآن جزء من جمهورية التشيك .

1857 : خسر والده تجارته ، فانتقلت العائلة إلى لايبزيغ قبل أن تستقر في فيينا

1865 : دخل مدرسة بارزة ، وهي مدرسة كومونال ريل بيمناريوم الموجودة في حي ليوبولدشتات ذي الأغلبية اليهودية . وقد كان متفوقا بها .

1871 : بدأ مراسلاته التي كان يبعثها إلى صديقه Eduard Silberstein ، و قد كان عمره آنذاك 15 عاما .

1873 : تخرّج فرويد في ماتورا مع مرتبة الشّرف .

1874 : قرأ فرويد رواية دون كيشوت بنصّها الأصلي و عمره 18 سنة .

1874–1875 : حضر ملتقى Brentano فتأثر بأفكاره ، و قرّر السفر إلى برلين لحضور ملتقياته .

1876 : بدأ ينشر بحوثه الطّبيّة .

1880 : تعرف على جوزيف برويز ، و هو من أبرز أطبّاء فيينا .

1881 : اشتغل في الممارسة الإكلينيكية كمتخصّص في الأعصاب .

1881 : حصل على الدكتوراه في الطب ، وعمل في معمل أرنست بروك .

1882 : عمل في مستشفى فيينا الرئيسي ، و نشر أبحاثا عديدة في الأمراض العصبية .

1883 : رسائله إلى خطيبته مارتا .

1884 : بـدأ دراسـته حـول الكوكـايين ، إذ نشـر مقـالا بعنـوان " حـول الكوكـا" ، تحدث فيها عن خواص الكوكايين التخذيرية .

1885 : عين محاضرا في علم أمراض الجهاز العصبي ، وتسلم منحة سافر بها إلـى بـاريس ليلتقـي بالطبيـب الفرنسـي " شـاركو" الـذي كـان يسـتخدم التنـويم المغناطيسي في علاجه .

1886 : عاد إلى فيينا ، وعمل طبيبا خاصّا ، وطبّق ماتعلّمه من شاركو .

1886 : ترجم لشاركو " دروس في أمراض الجهاز العصبي " .

1886 : تزوج مارتا برنـايس ، وأنجب منها ستة أطفال ثلاثة بنين وثلاث بنات وأصبحت إحدى بناته طبيبة نفسية وهي آنا فرويد ، وقد اشتهرت بعلاج الأطفال في لندن .

1887 : تعـرف علـى صـديقته فلـيس W.Fliess ، لتبـدأ مراسـلتهما مـع بعـض ابتداء من ديسمبر من هذا العام .

1888 : نشر ترجمته للجزء الأول لكتاب برنهايم حول الإيحاء و تطبيقاته العلمية

1889 : سافر إلى فرنسا ليحسّن فنه التنويمي .

1891 : نشر كتابه الخاص عن الحسبة – الأفازيا .

1891 : نشر أول أبحاثه عن شلل الأطفال المخي .

1892 : نشر مقالته عن التنويم المغناطيسي .

1892 : نشر الجزء الثاني من ترجمته لكتاب برنهايم .

1893 : كتب مقالة تأبينية لأستاذه شاركو .

1893 : نشر مع بروير بحثا في العوامل النفسية للهستيريا .

1894 : نشر مقاله " العصاب النفسي الدفاعي ".

1895 : نشر مقاله حول الوساوس و الرهاب ، وكتاب " نحو مشروع سيكولوجيا علمية ".

1895 : نشر مع بروير : دراسات حول الهستيريا .

1895 : انضمّ إلى جمعية (بناي برث) أي أبناء العهد ، والتي لم تكن تقبل في عضويتها غير اليهود .

1896–1906 : ظل فرويد يعمل وحيدا طيلة عشر سنوات ، بعدما دب الخلاف بينه وبين بروير ، حينما اعتبر فرويد أن الاضطرابات النفسية ناجمة عن دوافع جنسية مكبوتة .

1900 : نشر مؤلفه الكبير تفسير الأحلام (أنجزه سنة 1898 – طبعه سنة 1899 – نشره سنة 1900) .

1902 : بدأ وضع فرويد يتغير ، والتفّ حوله عدد من شباب الأطباء المعجب بنظريته .

1904 : صدور كتابه : علم أمراض النفس في الحياة اليومية .

1905 : صدور كتابه : النكتة وعلاقتها باللاشعور .

1905 : صدور كتابه : ثلاث مقالات في النظرية الجنسية .

1908 : كان أول مؤتمر للتحليل النفسي روج بدعوى من يونج ، وتم إصدار مجلة التحليل النفسي تحت إدارة فرويد و أدلر ، وكان يونج رئيس تحريرها .

1909 : صدور أول مجلة باسم : حولية الأبحاث التحليلية النفسية والسيكولوجية المرضية .

1909 : دعت جامعة كلارك بالويلايات المتحدة الأمريكية فرويد ويونج للإشتراك في احتفال الجامعة بمناسبة عشرين عاما على تأسيسها ، وتم استقبالهما استقبالا يليق بهما ، كما قوبلت محاضرات فرويد الخمس ومحاضرتا يونج مقابلة مدهشة

1910- عقد المؤتمر الثاني للتحليل النفسي في نورمبرج ، وتم تأليف جمعية التحليل النفسي الدولية ، وتقرر أيضا إصدار نشرة دورية تكون رابطة بين الجمعية الرئيسية و فروعها ، ثم توالت مؤتمرات الجمعية و تكونت لها فروع في معظم البلدان الغربية .

1913 : نشر كتاب الطوطم و التابو .

1914 : انشقاق أدلر ويونج عن فرويد .

1914 :نشر فرويد بحثا في مجلة إيماجو حول تمثال موسى لمايكل أنجلو .

1914 : نشر فرويد بحثا بعنوان : الحب الطرحي ، و كتاب : مستقبل وهم .

1916 : كتب مقالا أدبيا بعنوان " الزوال"

1918 : رأى في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، نشر كتاب الحضارة .

1920 : تأليفه لكتاب : ما وراء مبدأ اللذة .

1923 : أجريت له أكثر من ثلاثين عملية جراحية ، إذ أصيب بسرطان في الفك

1930 : حاز على جائزة غوته للأدب .

1934 : أحرقت كتبه ببرلين من طرف النازيين .

1935 : نشر مؤلفه : " تحليل بلا نهاية ، و تحليل بنهاية "

1939 : بدأ بكتابة " موسى و التوحيد " ، والذي لم ينشر إلا بعد عام 1939 قبل وفاته ببضعة أشهر .

1939 : اضطر فرويد لمغادرة النمسا إلى لندن بعد ظهور النازية .

1939 : وافته المنية بلندن .

ملحق بأعمال فرويد المترجمة باللغة العربية

1 – تفسير الأحلام 1900 .

2– التحليل النفسي للهستيريا (حالة دورا) 1905 .

3– ثلاث مقالات في نظرية الجنس 1905 .

4– النكتة وصلاتها باللاشعور 1905 .

5– الهذيان و الأحلام في الفن 1907 .

6– التحليل النفسي للعصاب الوسواسي (دجل الجردان)1909.

7– خمسة دروس في التحليل النفسي 1909 .

8– ليوناردو دافنشي 1910 .

9– الطوطم و التابو 1912–1913 .

10– مساهمة في حركة التحليل النفسي 1914.

11– علم ما وراء علم النفس 1915 .

12– الحب و الحرب و الحضارة و الموت 1915 .

13– محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي 1916–1917 .

14– خمس حالات من التحليل النفسي (1905–1918).

15– علم نفس الجماهير وتحليل الأنا 1921 .

16– مافوق مبدأ اللذة 1923 .

17– الأنا و الهو 1923 .

18– إبليس في التحليل النفسي 1923.

19– حياتي و التحليل النفسي 1923.

20- القلق 1923.

21- مسقبل وهم 1927 .

22- دوستويفسكي و جريمة قتل الأدب 1928 .

23- قلق في الحضارة 1930 .

24- الحياة الجنسية 1907-1931 .

25- محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي 1932 .

26- الموجز في التحليل النفسي 1938 .

27- التحليل النفسي و الفن 1915.

28- موسى و التوحيد 1948.

ملحق أعمال فرويد باللغة الفرنسية

1- Correspondence de freud (1873-1937).

2- A Freud reader 1989.

3- Etudes sur l'hystérie (1893-1895).

4- Projet de psychologie (1895).

5- L'hérédité et l'étiologie des névroses (1896).

6- Sur les souvenir écrans 1899.

7- L' introduction des rêve 1900.

8- La psychopathologie de la quotidienne 1904.

9- Le mot d'esprit et ses rapports avec l'inconscient (1905).

10- Trois essais sur la théorie de la sexualité (1905).

11- Fragments d'une analyse d'hystérie (dora) (1905).

12- Le délire et les rêve dans la « Gradiva » de W.Jensen (1907).

13- La création littéraire et le rêve éveillé (1908).

14- Le roman familial des névrosés (1909).

15- Cinq leçons sur la psychanalyse (1909).

16- Le petit Hens (1909).

17- L'homme aux Rats « Remarques sur un cas de névrose obsessionnelle (1909).

18- Origine et développement de la psychanalyse (1910).

19- Un souvenir d'enfance de léonard de Vinci (1910).

20- Grande est la daine Ephésiens (1911).

21- L'intérêt de la psychanalyse (1913).

22- Totem et Tabou (1913).

23- Le motif du choix des coffrets (1913).

24- Matériaux des contes dans les rêves (1913).

25- Le moise de Michel-Ange (1914).

26- Sur la psychologie du lycéen (1914).

27- Parallèle mythologique à une représentationolse.

28- Contribution à l'histoire du mouvement psychanalytique (1914).

29- Considération actuelles sur la guerre et la mort (1915).

30- Introduction à la psychanalyse (1916).

31- Une difficulté de la psychanalyse (1917).

32- Leçons d'introduction à la psychanalyse (1917).

33- Deuil et mélancolie (1917).

34- Au-delà du principe de plaisir (1920).

35- Psychologie collective et Analyse du moi (1921).

36- Psychologie des masses et analyse du moi (1921).

37- La tète de Méduse (1922).

38- Le moi et le ca (1923).

39- Article « Psychanalyse » (1923).

40- Petit abrégé de psychanalyse (1924).

41- Sigmund Freud présenté par lui-même (1925).

42- La question de l'analyse profane (1926).

43- Essais de psychanalyse (1927).

44- L'Avenir d'une illusion (1927).

45- Dostoïevski et le parricide (1928).

46- Le malaise dans la culture (1930).

47- Sur la sexualité féminine (1931).

48- La vie sexuelle (1907-1931).

49- Sur la prise de Possession du feu (1932).

50- Un trouble de mémoire sur l'Acropole (1936).

51- L'analyse avec fin et l'analyse sans fin (1937).

52- Abrégé de psychanalyse (1938).

53- L'homme Moise et la religion monothéiste (1939).

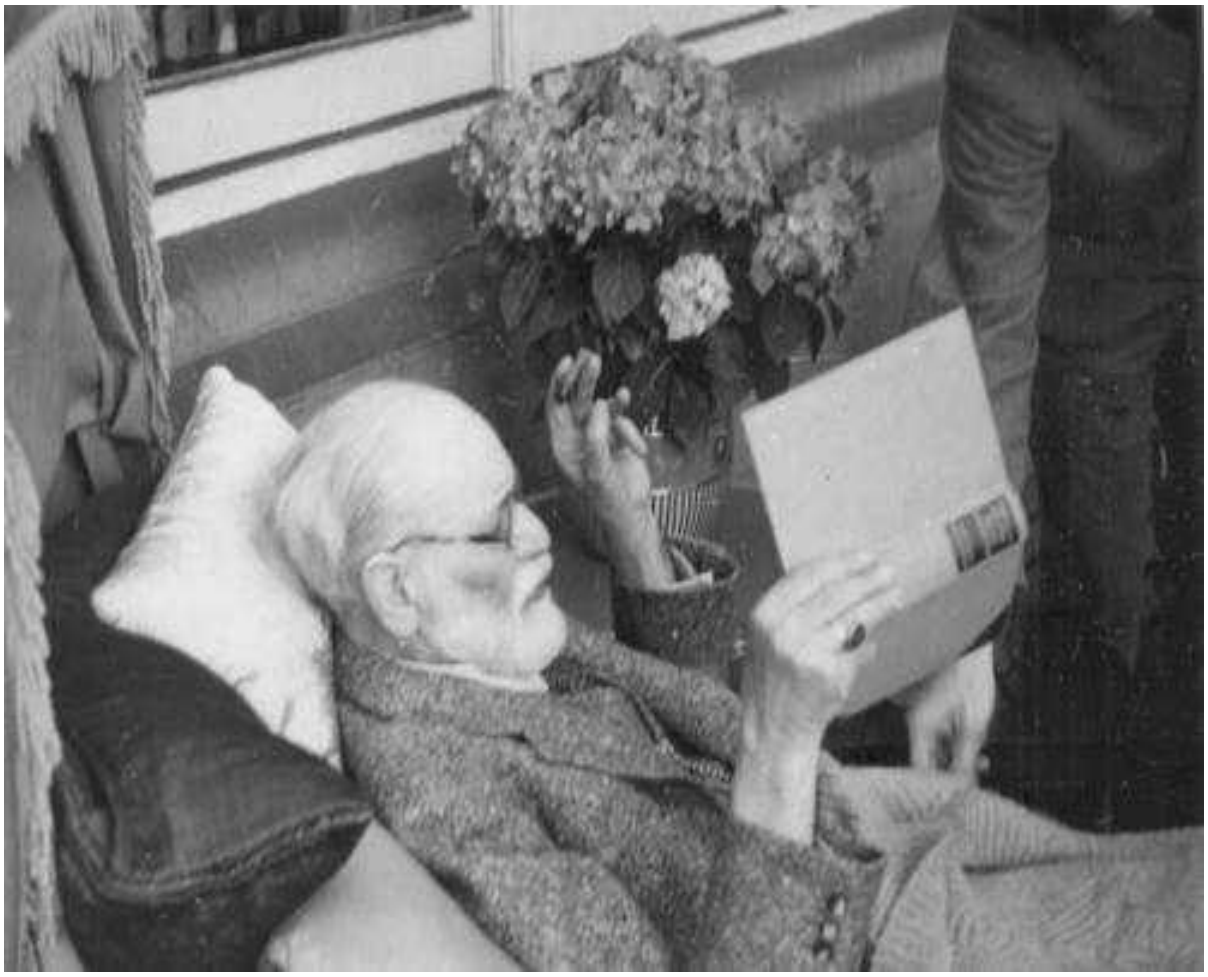

فرويد الموسوعة

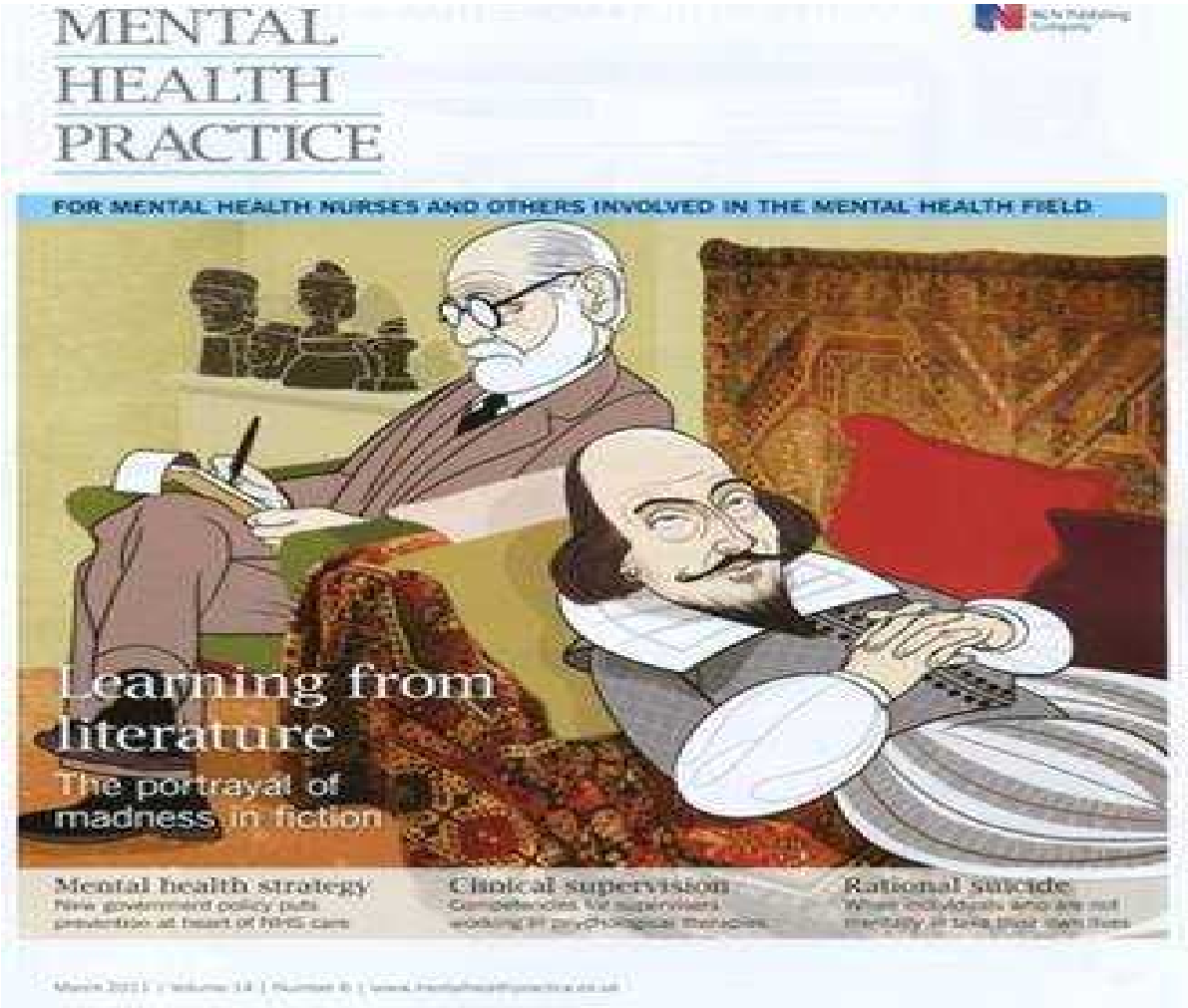

فرويد يحلّل شكسبير

التّنويم المغناطيسيّ

لك أن .....

وعليّ أن أؤوّل

سرير سمع الأعاجيب

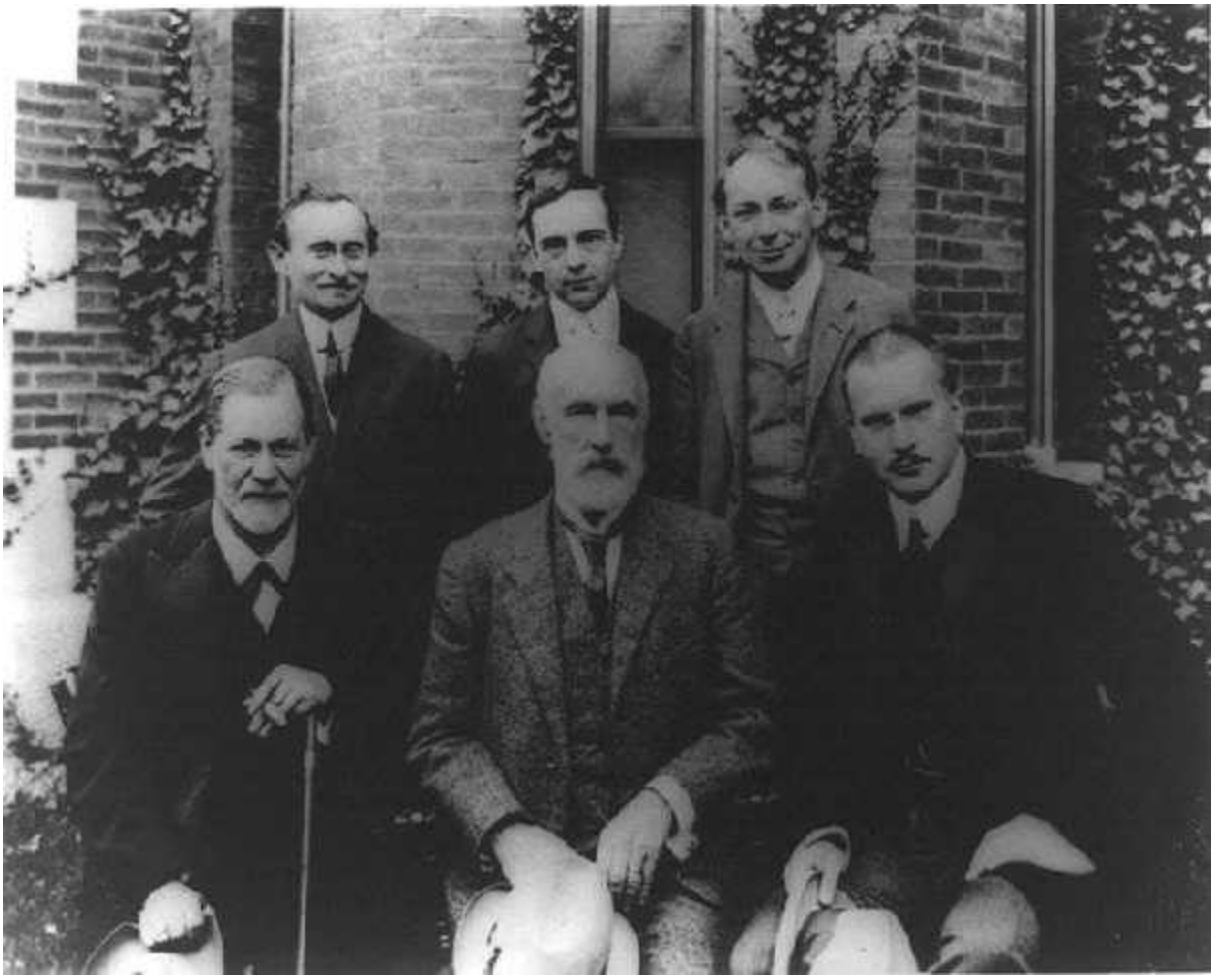

المعلّم و التّلاميذ

فرويد العاشق للفنّ

بدأ التّلاميذ يتكاثرون

النّازية تحرق كتب فرويد

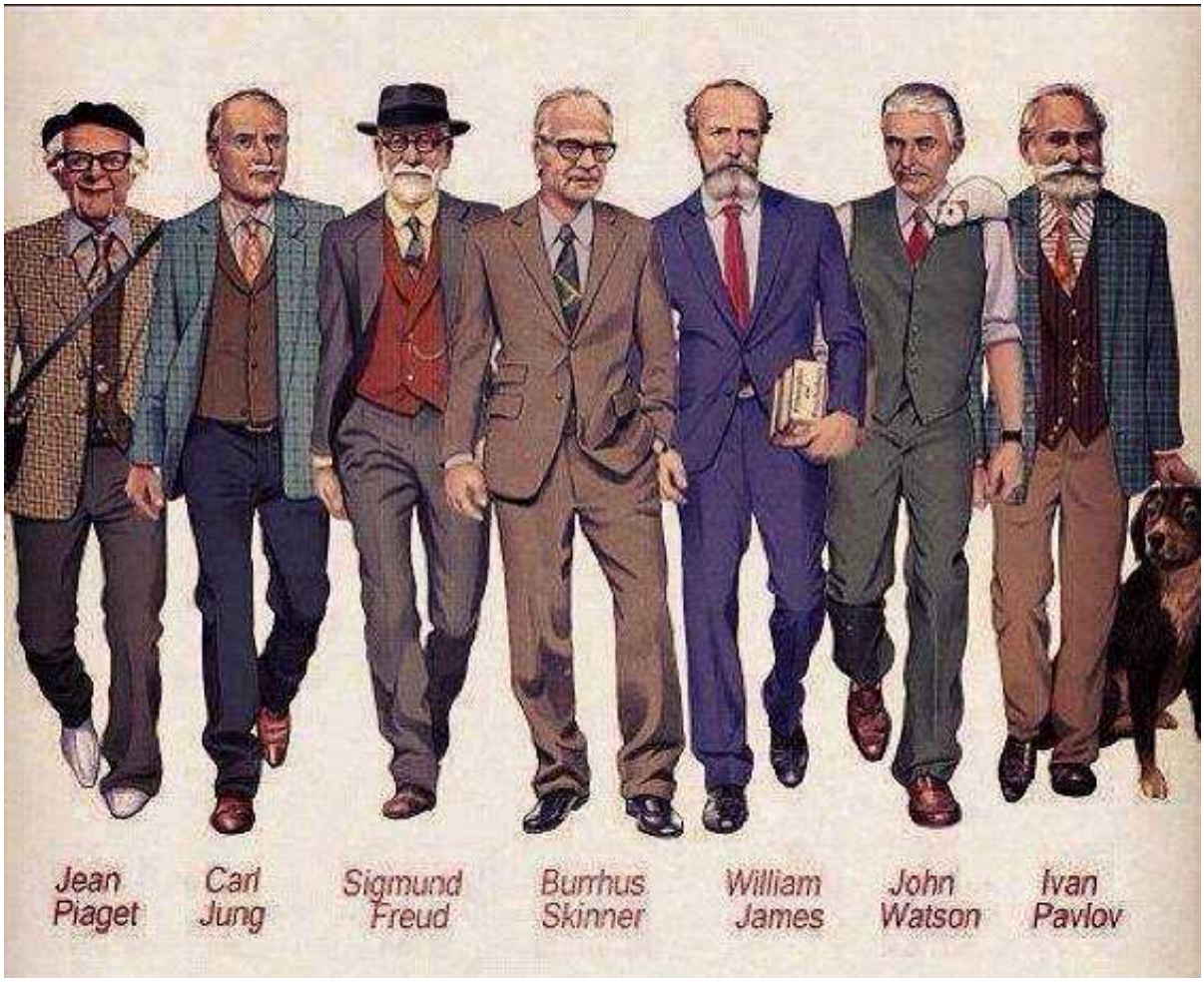
Jean Piaget
Carl Jung
Sigmund Freud
Burrhus Skinner
William James
John Watson
Ivan Pavlov

المصادر و المراجع العربية

❖ سيجموند فرويد :

- ✓ تفسير الأحلام 1990 ترجمة : مصطفى صفوان ، مراجعة : مصطفى زيور ،دار المعارف ، ط 2 ، 1969.
- ✓ التحليل النفسي للهيستيريا " حالة دورا " 1905 ، ترجمة : جورج طرابلشي م :\، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ط 1، 1981.
- ✓ ثلاث مقالات في نظرية الجنس 1905 ، ترجمة : سامي محمد على ، مراجعة : مصطفى زيور ، القاهرة ، دار المعارف ، ط2 ، 1969 .
- ✓ الهذيان و الأحلام في الفن 1907 ، ترجمة : جورج طرابلشي ،م : \ دار الطليعة للطبع و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 1978، ط2 1981.
- ✓ ليوناردودافنشي (1910) ، ترجمة: د. أحمد عكاشة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،1970 .
- ✓ الطوطم والتابو(1912– 1913) ، ترجمة : أحمد بوعلي ياسين ، سورية ، اللاذقية ، دار الحوار، ط1 ، 1983
- ✓ مساهمة في حركة التحليل النفسي 1914، ترجمة :جورج طرابلشي م : \ دار الطليعة للطباعة و النشر، ط 1 ، 1979 ، ط2 ، 1982 .
- ✓ علم ما وراء علم النفس 1915 ترجمة :جورج طرابلشي م :\ الطليقة للطباعة و النشر ،بيروت لبنان ،ط1 1979 ط2 1982
- ✓ الحب و الحرب و الحضارة و الموت 1915 ، ترجمة : عبد المنعم الحنفي م : \ ،دار الرشاد ، ط1 ،1412 هـ . 1992 م.

✓ محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي 1916 . 1917 ، ترجمة : أحمد عزت راجح ، مراجعة : محمد فتحي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 3 ،1966 .

✓ مافوق مبدأ اللذة 1923 ، ترجمة : إسحاق رمزي ، القاهرة ، دار المعارف ، ط 5 ،1980.

✓ الأنا و الهو 1923 ، ترجمة : محمد عثمان تجاني ، بيروت ، دار الشروق ، ط 4 ، 1402هـ . 1982م .

✓ حياتي و التحليل النفسي 1923 ، ت : مصطفى زيور ، عبد المنعم المليجي ، القاهرة ، دار المعارف ، ط 3 1981 .

✓ الكف والعرض والقلق 1926 ترجمة : محمد عثمان تجاني، المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط3.

✓ مستقبل وهم 1927 ، ترجمة :جورج طرابلشي ، بيروت، دار الطليعة ، ط1 ،1974 ، ط2 ، 1979، ط3 ،1981 .

✓ دوستويفسكي وجريمة قتل الأب 1928 في كتاب رونيه ويليك عن "دوستويفسكي " ،ترجمة : نجيب المانع ، بيروت ، المكتبة العصرية ، صيدا ، 1977.

✓ محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي 1932 ، ترجمة : أحمد عزت راجع ، مراجعة : محمد فتحي ، القاهرة ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ

✓ معالم التحليل النفسي 1938، ت: محمد عثمان نجاتي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، بن عكنون، ط 5، 1986 .
✓ الموجز في التحليل النفسي 1938 ، ترجمة : سامي محمد على ، عبد السلام القفاش ، مراجعة : مصطفى زيور ، القاهرة ، دار المعارف ،ط2 ، 1970 .
✓ موسى و التوحيد 1939، ترجمة : جورج طرابلشي ، بيروت ، دار الطليعة للطباعـــة والنشـــر، ط 1 ، 1973، ط2 ،1977 ، ط3 ، 1979 ، ط4 ،1986 .

❖ ليونيل تريلنج:

✓ فرويد و الأدب ، ترجمة : حسام الخطيب في كتاب "محاضرات في تطور الأدب الأروبي " ، دمشق ، مطبعة طبريق ، 1975 .

❖ لابلانش ج بونتاليس، ب :

✓ معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة : مصطفى حجازي ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط1 ، 1985.

❖ فاليري لييين:

✓ مذهب التحليل النفسي و الفلسفة الفرويدية الجديدة ، ترجمة :غير مذكورة ، بيروت ، دار الفرابي ، 1981 .

❖ إيريك فروم :

✓ مهمة فرويد (تحليل لشخصية وتأثيره) ،ترجمة : طلال غريسي ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2 ، 1423هـ 2002م .

❖شاكر عبد الحميد :

✓ الأسس النفسية للإبداع الأدبي (في القصة القصيرة خاصة) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1992 .

❖بن حلى عبد الله:

✓ الفكر الفرويدي و أثره في النقد العربي ، إشراف : أبو العيد دودو ، جامعة الجزائر ، معهد اللغة و الأدب العربي 1988 .1989.

❖وليام شكسبير :

✓ هاملت، جامعة الدّول العربيّة، المنّظمة العربيّة للتّنميّة و الثّقافة و العلوم، ط3، دار المعارف، القاهرة .

❖مارغريت ماكنهوبت:

✓ سيجموند فرويد مكتشف الأشعور ، ترجمة سامر عرار ، الرياض ، ط1 ،1425 هـ .2004 م .

❖أبي محمد القاسم بن عثمان :

✓ مقامات الحريري (المسمّى بالمقامات الأدبية) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1425هـ – 2005م .

مصادر و مراجع بالفرنسية :

❖ Sigmund freud :

✓ La céation littéraire et le reve éveillé1908 , Trad : Marie Bonaparte et M.me E.Marty :PARIS Gallimard , 1933.

❖ E RNEST JONES :

✓ Oedipe et hamlet 1980 , Reproduit par procédé photomécanique a été achevé d 'imprimer dans les ateliers de la s.e.p.c a saint .Amand (cher), le 10 avril 1980, imprimer en france.

❖ Joelle hullebroeck:

✓ L 'antiquité classique dans l'oeuvre de freud (revue belge de psychanalyse), Essais couronné par le prix sigmund freud (2002) , decerné par le F.E.P.A.L.

❖ Anne camille Plichart :

✓ Acta fabula : freud lecteur

❖ Isabelle martin kamieniak :

✓ Freud , le retour / freud et la litterature, printemp 2010.

❖ Lakhdari sadi :

✓ Freud et cervantes , savoir et clinique , article 2005, N°6, p 81-86.

✓ URL : www.cairn .info /rerue- savair- et cliniques 2005-1- page-81. HTM.

❖ Dictionnaire dixel , le Robert , france,2009.

ملخص

لقد تأثر فرويد تأثيرا كبيرا بالكلاسيكيات الخالدة، إذ إن من خلال تكوينه الثقافي منذ طفولته نلاحظ ميله الجامح نحو الأدب والعلوم الإنسانية، وتأثره الكبير بالكتّاب والروائيين، فضلا عن إتقانه لغات عديدة أتاحت له فرص الاطلاع الواسع على ثقافات أدبية أخرى و تعدّ عقدة أوديب أهم اكتشاف توصل إليه رائد التحليل النفسي عبر الأسطورة اليونانية الشهيرة " أوديب لصوفوكل"، فاستخدمها كونها نكوصا واضطرابا نفسيا عند الطفل في نموه الجنسي النفسي، حيث تكون أحاسيسه في حالة سباق مع والده تجاه والدته أو العكس، التفت فرويد إلى الأدب ليثبت من خلاله صحة نظرياته التي توصل إليها، ويستند إليه في تقديم الشروح والشواهد، إضافة إلى أن جل مصطلحات النفسية كان أصلها من الأساطير والأدبيات الخالدة كما كان فرويد شغوفا بمسرحية هاملت لشكسبير ويحفظ مقطوعات منها، كما تعتبر هذه المسرحية مرجعا أساسيّا للتّحليل النّفسيّ، فقد بحث فرويد عن سرّ تردّد هاملت في قتل عمّه ليتوصّل إلى افتراضات ، كون هاملت كان يودّ أن يستأثر بأمّه من جهة، ومن جهة أخرى كشف دافع اللاّوعيّ في شخصيّة البطل المسرحيّ؛ إذ إنّ هذا اللاّوعي ما هو إلاّ تجسيد للاوعي شكسبير نفسه . كما كان للكاتب ابن اسمه أيضا هاملت، وهذا ما جعل هذه المسرحيّة تبدو معقّدة في نظر التّحليل النّفسي وتحتاج إلى تأويل . كما تعامل فرويد مع الظّاهرة الأدبيّة تحليلا ونقدا، وكذا بحثه في الدّلالات الباطنيّة و العقد النّفسيّة في العمل الأدبيّ و الفنّيّ وتطبيقاته على كلّ من دوستويفسكي في الإخوة كارامازوف، و جراديفا لجونسن، و يوناردو دافنشي من خلال لوحاته .

الكلمات المفتاحية:

فرويد؛ هاملت؛ شكسبير؛ عقدة أوديب؛ أثر فرويد في الأدب؛ يوناردو دافنشي؛ دوستويفسكي؛ جراديفا؛ الأدب؛ الفن.

نوقشت يوم 5 جوان 2016